



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والآداب العربي

الأبعاد الاجتماعية في رواية يوميات بلاد القبائل لمولود
فرعون دراسة سوسولوجية

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذة:

- د. كريمة رقاب

إعداد الطالبين:

- محمد برمكي

- مبروك أوكادي

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الاستاذ
رئيسا	جامعة غرداية	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ عاشور سرقمة
مشرفا مقرررا	جامعة غرداية	أ/ محاضر أ	د/ كريمة رقاب
مناقشا	جامعة غرداية	أ/ مساعد أ	أ/ محمد الزاوي

السنة الجامعية: 2022/1443م

سورة المائدة



أهدي عملي هذا إلى الوالدين الكريمين رحمهما الله وقل ربي ارحمهما
كما ربياني صغيرا. وإلى الأهل والأولاد والإخوان والأخوات.
وإلى الأقارب والأحباب والأصحاب. وإلى المشايخ والأئمة والأساتذة.
وإلى طلبة الثانية ماستر أدب حديثه ومعاصره. وإلى جميع الذين وقفوا
مجاهدين أمام وباء كورونا. وإلى جميع الذين فكروا نسأل الله أن يرزقهم
الشهادة. وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

محمد برمكي

أهدي ثمرة جهدي إلى روعي والدائي الكريمين رحمهما الله اللذان طالما
سعيا في تربيته وتعليمي...

إليهما أهدي هذا العمل وإلى أساتذتي في كافة الأطوار التعليمية والذين
أدين لهم بكل شيء وإلى أخواتي أطال الله في أعمارهن وإلى حبيبات قلبي
الكرام وهاجر وفاطمة وأمهما وإلى أولاد العم الذين كانوا سندالي في
مختلفة أطوار الدراسة وأخص منهم عبد الرحمان وإلى كل من ساندنا في
هذا العمل من الأصدقاء والأحباب فتحية خاصة للجميع.

مبروك أوغادي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة التوبة -105 -]

الحمد لله رب العالمين له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لله الفضل والمنة من قبل من بعد على منحنا القدرة على إنجاز عملنا هذا فله الحمد

والشكر بدءاً مختتماً.

والشكر موصول أيضاً للذين ساعدونا على إنجاز هذا العمل طوال هذه الفترة، في

مقدمتهم الأستاذة الفاضلة الدكتورة كريمة رفاعة التي رغبتنا في إنجاز هذا العمل، ولم

تدخر وسعاً في التوجيه والمساعدة . فلها كامل التقدير والاحترام ونسال الله أن يحقق لهما

ما ترغبه وأن يحفظها ويمتعهما بموفور الصحة والعافية وأن ينفعنا بعلومها.

دون أن ننسى كل أستاذة قسم اللغة والأدب العربي فلمهم جزيل الشكر والتكريم ولجميع

طلبة ثانوية ماستر أدب حديثه ومعاصر ولجميع طاقم الكلية كل باسمه وجميل اسمه .

شكراً جزيلاً لكم

مقدمة

يحمل الأدب الجزائري رسائل عديدة. من تلكم الرسائل مواجهة الأدب الكولونيالي، الذي كان غرضه طمس الهوية، ومد يد العون للمستعمر بأن له الأحقية في امتلاك الجزائر واحتلالها، لأنها في الأصل مملكة رومانية مكث فيها الرومان قرونا عديدة نجد لويس برتراند ممن كانوا يروجون لفكرة الجزائر لاتينية.

فالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يمثل المناقض الأيديولوجي لسياسة المستعمر ودحض فكرة الجزائر لاتينية.

ولقد برز كتاب في هذا المجال، تخرجوا على يد المدرسة الفرنسية في الجزائر، التي كان هدفها السيطرة على عقول المثقفين من أبناء الجزائر، لتخريج جيل مشبع بالثقافة الفرنسية، ليكون سلاحا لمواجهة الأصالة و الهوية، ومعمل هدم للتراث والتاريخ.

ومن جملة من تخرجوا من هذه المدرسة الفرنسية، كتاب كتبوا في مجال الرواية الأدبية، خاصة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية، نظرا لما شهدته الساحة في هذه الفترة من تطور على المستوى السياسي والثقافي والإيديولوجي.

هؤلاء الكتاب لم تطمس السياسة الاستعمارية هويتهم، ولم يفقدوا إحساسهم بمعاناة مجتمعاتهم، وتفطنوا لما يحكيه المستعمر من مكائد لطمس هوية شعبهم وأصالته، رغم ما كان يعانيه بعضهم من شد وجذب، بين أصالته وما تحويه الثقافة والحضارة الفرنسية من مغريات، فكتبوا عن مجتمعاتهم وصوروا معاناته، وفضحوا بذلك سياسة المستعمر.

من هذا المنطلق تأتي هذه المذكرة الموسومة: الأبعاد الاجتماعية في يوميات بلاد القبائل دراسة سوسيولوجية، لتقف على روائي أثرى الرواية الجزائرية في هذا المجال، ألا وهو مولود فرعون، ووقع اختيارنا على يوميات بلاد القبائل، والتي تعطينا صورة حية نابضة عن مجتمع من المجتمعات الجزائرية الضاربة في الأصالة وعمق التاريخ "بلاد القبائل".

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب عدة جعلتنا نختار هذا الموضوع، تنوعت بين ذاتية وموضوعية.

الأسباب الذاتية:

1- اهتمامنا بدراسة الرواية الجزائرية خاصة المكتوبة باللغة الفرنسية، لما لها من إسهامات في إثراء الأدب الجزائري والتعبير عن واقعه وتاريخه ومجتمعه ونقل الصور الحية عن معاناته.

2- قلة الدراسات التي تناولت الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية. فلا زال يحتاج إلى كثير من الدراسة لأجل الكشف عن مكنوناته وما يحويه من جماليات وفنيات سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

3- الإيمان بان الأدب يحمل رسالة الكشف عن الحقائق العميقة، والتطلع لتغيير الواقع، واستشراف متطلبات المستقبل.

الأسباب الموضوعية:

01- وجود البعد الاجتماعي بقوة في أعمال مولود فرعون كمكون أساسي في التشكل السردي عنده، وهو ما ينسجم مع طبيعة الإشكالية الرئيسة لهذا البحث.

02- لفت الأنظار إلى كتاب الأدب الجزائري باللغة الفرنسية من خلال مولود فرعون، وإسهاماته في هذا المجال، مع إبراز دور الدراسات السوسولوجية في الأعمال الأدبية.

03- الكشف عن الأبعاد الاجتماعية ومظاهرها التي وظفها الروائي في روايته، ومعرفة المجتمع القبائلي، وإبراز واقعه المعيش إبان حقبة الاستعمار.

04- إن معظم أعمال مولود فرعون خاصة الأخيرة منها مسايرة لكل المتغيرات التي طرأت على مجتمعه، والتي انعكست على الخصائص التكوينية لأعماله فكانت عامل جذب قوي لنا أسس لهذا الاختيار.

05- إن أغلب الدراسات السابقة تناولت أعمال مولود فرعون الروائية في بنيتها الداخلية، متجاوزة بنيتها الخارجية وخاصة الاجتماعية منها.

الإشكالية:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال المركزي التالي:

أين تتجلى الأبعاد الاجتماعية في رواية يوميات القبائل؟ وذلك من خلال القيم والعادات والتقاليد المرسخة في المجتمع القبائلي.

وهو سؤال انبثقت منه مجموعة من الفرضيات المتمثلة في:

- 1- إلى أي مدى استطاعت الرواية أن تعبر عن الواقع المعيش في منطقة القبائل؟.
- 2- على ما ركز الكاتب في أبعاد الرواية الاجتماعية؟ ولماذا؟.
- 3- ما هي المنابع الإيديولوجية التي شكلت البعد السوسيولوجي في المجتمع القبائلي؟.

الدراسات السابقة:

هذه الدراسة السوسيولوجيا للرواية الأدبية الجزائرية لم تنطلق من فراغ، وإنما استنادا لدراسات سابقة، إذ يحسن بنا الإقرار باستفادتنا من بعض الدراسات الأكاديمية، التي خاضت غمار البحث في الرواية الجزائرية، وفي أدب مولود فرعون بشكل خاص، لكن المفارقة بيننا أن هذه الدراسات ركزت على تشكل البنى الداخلية للنص، وعليه يجدر بنا القول بقلة الدراسات التي تناولت الأبعاد الاجتماعية في أدب مولود فرعون، بشكل مماثل لهذه الدراسة، وإنما التقاطع معها في دراسة المجتمع نفسه، نحو:

- جمالية البناء الروائي في رواية يوميات القبائل مذكرة ماستر من إعداد جلواح صابرين شعلال ضاوية.
- البنية الحكائية لكتب يوميات بلاد القبائل لمولود فرعون مذكرة ماستر من إعداد بالعيدي مليكة.

كما تجدر الإشارة إلى أن الدراسة المماثلة لدراستنا التي وقفنا عليها مع اختلاف في تحديد العينة المدروسة هي: الأبعاد السياسية والاجتماعية في الرواية العربية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح مذكرة ماستر من إعداد نجوى طراد وشهرة بوبقيرة جامعة أم البواقي.

المنهج المتبع:

اعتمدنا على المنهج السوسيولوجي الذي ينطلق من البنية الموضوعية التي تتولد من الواقع المعاش، والذي له علاقة وطيدة بالبعد الإيديولوجي، لأنهما الأنسب لمثل هذه الموضوعات، والأصلح لتتبع العلاقات والأبعاد الاجتماعية للمجتمع.

كما أن طبيعة البحث أوجبت علينا أن نستعين بالمنهجين الوصفي والتحليلي، لتتبع النصوص في المدونة، واستخراج الأبعاد الاجتماعية منها والوقوف على الصور الحية التي يستوحىها الكاتب من كتاباته.

كما استعنا ببعض آليات المنهج السيميائي في دراستنا لبعض البنيات الصغرى لاسيما الشخصية والمكان، للوقوف على دلالاتها وتأويل أبعادها.

المصادر والمراجع:

وبغية الإلمام بجميع قضايا الموضوع ومباحثه فقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة المنهل، وهي يوميات بلاد القبائل لمولود فرعون، ترجمة عبد الرزاق عبيد، سوسيولوجية الأدب دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع لقصي الحسين، والمنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الأيديولوجيا إلى فضاء النص للدكتور عبدالوهاب شعلان.

ولقد تلقينا كأبي باحثين صعوبات عديدة حالت دون الوصول إلى جميع ما نرمي إليه من البحث، ذلك لقلة الدراسات التي تناولت هذا البحث ولشح المصادر فيه، ولتشابك الموضوع وتفريعاته العديدة مع مختلف العلوم ولاختلاف الآراء، وتعدد المعارف.

خطة البحث:

ومن أجل التماس حلول لإشكاليات البحث الرئيسة والفرعية تم هيكله البحث وتسطيره وفق الخطة الآتية:

توزعت فصول هذه الدراسة على قسمين أحدهما نظري والآخر تطبيقي، وقد اختص الجزء النظري بمدخل موسم ب الملامح العامة للموضوع، عرضنا فيه علاقة الأدب بالمجتمع، أما الفصل الأول فتطرقتنا فيه إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. من حيث مفهومها ونشأتها، والرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وسؤال الهوية.

أما الفصل الثاني فخصصناه للجانب التطبيقي، تناولنا فيه الأبعاد الاجتماعية المادية، وذلك من خلال المكان والشخصيات والحرف والمهن، ثم تطرقنا للأبعاد الاجتماعية اللامادية المذكورة في الرواية، من حيث مؤسسات المجتمع، والتفاوت الاجتماعي، والصراعات.

وينتهي البحث إلى خاتمة حوصلت أهم النتائج المتعلقة بالأبعاد الاجتماعية المادية واللامادية في المجتمع القبائلي.

ولعل هذا العناء التعب كان سببا في وصولنا إلى ما توصلنا إليه، ونحن نأمل أن يكون العمل محل تقدير حسب ما بذل فيه من الجهد وأن يكون مقبولا، فهذا أقصى ما نتمنى.

وفي الأخير نأمل أن تكون دراستنا هذه مساهمة متواضعة في دراسة أحد نماذج الخطاب الروائي الجزائري المعاصر شكلاً ومضموناً، ولا يفوتنا أن نتوجه بالشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة كريمة رقاب على توجيهاتها وتصويباتها ومرافقتها لنا في عملنا وإلى جميع من مد يد العون من قريب أو بعيد . فجزاهم الله عنا كل خير . والله الحمد من قبل ومن بعد والله در من قال

لاستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر .

مدخل

مدخل: العلاقة بين الأدب والمجتمع.

الأدب هو ظاهرة اجتماعية وإن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما ينتجه لمجتمع من اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة ، وإلى أن يمارسها وينتهي منها، فالأديب يجب أن يكون صادقا في نقله للواقع ،لأنه يقدم رسالة للمجتمع، والقصد منها التأثير بالمتلقي لذا تبدو العلاقة بين الأدب والمرجعية السوسولوجية (النقد الاجتماعي) علاقة طبيعية، على أساس أن الأدب ظاهرة إجتماعية، "فالأدب يذوب في المجتمع ذوبانا تاما، فلا يكون شيء مما يعمله أن يبدعه، أو ينتجه أو يفكر فيه إلا مجرد أثر من ذلك المجتمع، فهو انتماء إليه وامتداد له"¹.

فالأدب يتغير بتغير المجتمع، ويطرد تطوره مع تزايد القدر الذي يحظى به المجتمع من الحريات الفردية والعامة، وبالتالي فإننا لانستطيع فهم الأثر الأدبي ، وتدوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة بالظروف الإجتماعية التي أدت إلى إبداعه وظهوره"².

فمن خلال كل هذا ندرك أن الأدب ظاهرة إجتماعية، فالأديب لا يعيش منعزلا عن المجتمع، بل هو كائن إجتماعي يعيش في بيئة إجتماعية، تستجيب لمؤثرات هذه البيئة، ويخضع للتيارات السائدة فيها، وهذا ما أكده عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركايم" بقوله: "إن الأدب ظاهرة إجتماعية، وإنه إنتاج نسبي يخضع لظروف الزمان والمكان وهو عمل له أصول خاصة به وله مدارس، ولا يبنى على مخاطر العبقرية الفردية وهو إجتماعي أيضا من ناحية أنه يتطلب جمهوراً يعجب به ويقدره"³.

فالأديب في نظر " دوركايم" يستقي أدبه من المجتمع الذي هو محور مادته، ومصدر أعماله الأدبية.

1 . عبد المالك مرتاض: في نظرية النقد(متابعة لاهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دارهومة، الجزائر، ط2010، ص52.

2- براهيم محمود خليل النقد الادبي الحديث (من المحاكاة الى التفكيك). دارالسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط3، 2010، ص34

³ - ارنست فيشر: ضرورة الفن، تر: اسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ط، 1974، ص21 نقلًا عن مُجد علي البدوي: علم اجتماع الادب، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص13

والغريبيون في توظيفهم واستخدامهم لمصطلح الأدب أيضا إشارة إلى الأدب "الجميلة أو الادب المكتوبة أو المنطوقة، وتشمل الأغنية، والقصيدة، والأسطورة، ورواية أحداث التاريخ ثم شملت بعد ذلك أنواعا أخرى مثل القصة، والرواية، والمسرحة، والمقال والنقد وغيرها"¹.

وفيما يتعلق بمفهوم علم اجتماع الأدب "فهو ذلك الفرع من فروع المعرفة السوسولوجية، وقضاياها النظرية على دراسة الأدب بوصفه ظاهرة من ظواهر المجتمع التي يتخصص هذا الفرع في دراستها"².

فالدراسة السوسولوجية للأدب، توصلنا إلى إدراك تلك الصلة الوثيقة بين أفكار المؤلفين والأدباء بالمجتمع، أو ربط الأدب ببناء المجتمع عن طريق علم اجتماع المعرفة حيث يمكننا الأدب من تعلم واكتساب بعض المعارف المتصلة بالمجتمع للإفادة منها في التحليل السوسولوجي المقارن...³

إن اهتمام علم اجتماع الأدب أو علم اجتماع النص بالعلاقة بين الأدب والمجتمع يؤكد أهميتها، ومن ثم تتأكد بالضرورة العلاقة بين الأدب ومجتمعه، وهي علاقة توسم بأنها تبادلية بين الأدب والمجتمع، فكلاهما يؤثر في الآخر.

ويقال "إن للأدب انعكاسات اجتماعية عديدة، وهو في حد ذاته يعد انعكاسا اجتماعيا حتى في أكثر موضوعاته خصوصية. فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطا لغويا. حتى اللغة تفسر من منظور اجتماعي قبل أن تفسر من منظور آخر"³ ومن ثم فالأدب قابل للتعريف من منظور اجتماعي على أنه مجموعة من القيم، أو التعبير عنها"⁴.

وعلى مدى التاريخ الأدبي كله لم ينكر أحد العلاقة بين الأدب والمجتمع وإنما قد ينشأ الخلاف حول فهم طبيعة هذه العلاقة، ومن ثم "كانت قضية العلاقة بين الأدب والمجتمع وما تزال

¹ محمد كمال غالب: الادب والمجتمع، غير مبين دار النشر، دط، 1976م، ص10 نقلا عن المرجع نفسه، ص16.

² مجمد علي البدوي، علم اجتماع الادب، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002م، ص96

³ احمد فراج: (الثقافة والعولمة/صراع الهويات والتحديات) الهيئة العامة لقصور الثقافة كتاب اجاث المؤتمر الرابع لاقليم غرب وسط الدالتا سنة 2003ص96.

موضوعاً شديداً الأهمية لفهم الأدب ودراسته، وبدونها لا يمكن فهم الأدب ولا المجتمع، ورغم أن مصطلحي الأدب والمجتمع لم يحملا نفس الدلالات الحديثة عند القدماء، إلا أننا نستطيع أن نلمح اسهامات حول هذه العلاقة منذ القديم¹.

ويمكن أن نتأمل صلة الأدب بالمجتمع في أقدم صور الأدب "ولنرجع الى الورا الى أعرق صور الشعر، وهي الشعر القصصي عند اليونان، صورة الإلياذة، فنجدها لا تتغنى بعواطف فردية، وإنما تتغنى بعواطف الجماعة اليونانية لعصرها، مصورة حروبها بطروادة ومن استبسوا فيها من الأبطال، ومن هنا نشأ القول بأن ناظمها ليس هو هوميروس وحده"².

وفي العصر الجاهلي كان الشعر العربي مرآة عاكسة للعصر، وصورة حية من حياة العربي وباديته، وكما يقال: كان ديوان العرب، أو سجل العرب الذي يصور حياتهم ويحكي عاداتهم وتقاليدهم، ويعكس أحوال معاشهم في صدق تام. ولنا أن نتوقف عند شاعر مثل "عمرو بن كلثوم" الذي دخل التاريخ بقصيدة واحدة(*) تناقلتها الألسنة، وغنتها القوافل جيئة وذهاباً، وأكثر بنو "تغلب" إنشادها جيلاً بعد جيل حتى قال فيهم الشاعر:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة - قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها من كان أولهم - يالرجال لشعر غير مسئوم

فهذه القصيدة دخل بها صاحبها التاريخ لأنها عبرت بصدق عن احتياجات روحية وسياسية في مجتمع الشاعر و قدمت صورة الصراع الدائر بين المجتمع القبلي وغيره و انتصرت لهذا المجتمع وهي تعبر عن فرحته، و أبرزت صفاته الأصلية وهي تعبر عن انتصاراته.

كما سبق القول: لم تكن العلاقة المتبادلة بين الأدب والمجتمع محل شك على مدى التاريخ الأدبي، وإنما الإشكاليات كانت تتراكم حول وجهة النظر التي ينظر بها إلى هذه العلاقة، وفي طرق تناولها نقدياً، وفي الصراع الفكري والفلسفي الذي دار حولها. وعلى مدى التاريخ الحديث، ومنذ انخيار النظام الإقطاعي في أوروبا وإنهاء سيطرة الكنيسة على المجتمع والفكر

1. سيد مجراوي، المدخل الاجتماعي للادب. القاهرة، دار الثقافة العربية سنة 2001، ص3.

2. شوقي ضيف المدخل الاجتماعي للادب، القاهرة، دارالمعارف، ط8. ص96.

* هذا ما ذهب إليه الكثيرون من دارسي الأدب ومؤرخيه لكن ما يذهب البعض إلى أنه شعراء مع ما ضاع من تراث شعراء كثيرين غيره.

وظهور ما يسمى بالعلمانية شهدت الفترة التالية نهضة للعلوم الطبيعية ، حتى أنها سيطرت بمنهجها وقوانينها منذ القرن التاسع عشر على البحوث الأدبية "سيطرة أدت إلى ما يمكن أن نسميه بالتاريخ الطبيعي للأدب عند طائفة من النقاد ومؤرخي الآداب، يأتي في مقدمتهم" سانت بيف و"تين" و"برونتيير" متأثرين بفلسفة" أوجست كونت"الوضعية، فيما عرف وتاريخيا بالوضعيين نسبة إلى هذه الفلسفة، وكانت رؤيتهم لهذه العلاقة التي نحن بصددنا الآن ولدور الأدب وكل آثاره وأعماله ثمرة قوانين حتمية عملت في القديم، وتعمل في الحاضر، وتظل تعمل في المستقبل وهو يصدر عنها صدورا حتميا لا مفر منه و لا خلاص إذ تشكله وتكيفه حسب مشيئتها و حسب ما تحمل في تضاعيفها من جبر و إزام⁽¹⁾.

ولقد تعمق في هذا الإتجاه "هيوليت"(1828.1893) الذي تبلور كتاباته المذهب الوضعي بشكل واضح. فقد كانت محاولته أكثر جدية و اتساعا في الأفق .لأنه لم يحكم عنصرا واحدا في تفسير الأدب بل حكم ثلاثة عناصر أساسية هي العصر(الزمن) والجنس (العرف) والبيئة(المكان)⁽²⁾.

وانطلق تين من خلال هذا التحكم ثلاثي العناصر يمارس عمله النقدي معتبرا إياها بمثابة عناصر جماعية تجمع بين الأديب وأدباء أمته. نظرا إليها كما لو كانت قوانين حتمية كقوانين الطبيعة، وراح يطبقها على الأدباء الإنجليز في كتابه"تاريخ الأدب الإنجليزي"بالنسبة للجنس كان يمثل عنده الفطرة الموروثة في كل أمة إضافة إلى المزاج والبنية الجسمية، أما البيئة يقصد بها الوسط الجغرافي والمكان الذي ينشأ فيه أفراد الأمة بما يفرضه عليهم من حياة مشتركة في العادات والتقاليد والأخلاق والروحية"الروح" الاجتماعية ، أما العصر أو الزمان فكان يقصد به الظروف السياسية و الثقافية و الفنية و الدينية.

جدير بالذكر أن منهج "تين" كان له أنصاره في الوطن العربي من أمثال "طه حسين" و تلاميذه مثل"شوقي ضيف" و إن كان قد انحصر عندهم في المنهج البيئي ثم من تبعهم من أمثال لويس عوض و محمد مندور و محمود أمين العالم و عبد المحسن طه بدر وغيرهم.

¹ . شوقي ضيف المرجع السابق، ص 86

² . سيد البحراوي المدخل الاجتماعي للأدب، القاهرة، دارالثقافة العربية سنة 2001. ص 21

غير أن نموذج تين لم يسلم من الإنتقادات التي وجهت إليه . فقد لوحظ أنه ينتهي إلى التناقض، ففي الوقت الذي يبحث فيه عن العلل المادية للأشياء والظواهر نجده يرد هذه العلل إلى جذور لامادية بل مجردة وثابتة وذات أصول نفسية، هذا بالإضافة إلى الانتقادات التي وجهت إلى الوضعية بصفة عامة، ومنها التفسير الميكانيكي للأدب (...). كذلك ينتقد تين لأنه لم يبحث في الأدب إلا عن الوثيقة التي تعكس صورة المجتمع⁽¹⁾ وربما لذلك نعت النقاد "الوضعيين" أحيانا بالميكانيكيين ولعل السهام التي وجهت إليهم كثيرة ومتعددة الإتجاهات، قد هاجم أول من هاجم أصحاب الفلسفة الجمالية التي انبرى متبنوها من نقاد الأدب يرفعون شعار "الفن للفن" مستندين إلى مقولات فلاسفة الجمال وعلى رأسهم "كانت" قد ألمح "كانت" مثلا إلى القول بأنه "ليس للفن من غاية سوى الجمالية الخالصة التي تحقق الانسجام بين ملكاتنا الإنسانية انسجاما تتألف فيه المعرفة والشعور والمخيلة"⁽²⁾.

يمكننا ونحن لازلنا بصدد العلاقة بين الأدب والمجتمع أن نتوقف عند "الماركسية" كفسلفة كان لها إنجازها في الدراسات الأدبية طوال النصف الأول من القرن العشرين وخاضت صراعا عنيفا مع كافة الفلسفات الماثلة في تلك الحقبة و خاصة الفلسفة الوضعية، صراعا وصل إلى حد العدا، ليس من منطق العدا السياسي، ولكن الماركسيين لم يجدوا مبررا لاستمرار الفلسفة الوضعية رغم ماديتها، فحسب وجهة نظرهم أن الماركسية بشقيها: المادية الجدلية والمادية التاريخية يمكنها أن تقدم تصورا أفضل للقوانين التي تحكم حركة المجتمع وتطوره؛ ليس هذا فحسب بل يمكنها أن تقدم المنهج القادر على تغيير هذا المجتمع، ومن هنا جاء رفضهم للوضعية المادية الميكانيكية الجامدة.

على أية حال كان "اهتمام النظرية الماركسية باجتماعية الأدب مجرد مسألة اهتمام كمي ظهرت في كل كتابات النقاد الماركسيين بدءا من منظري الماركسية الكبار ماركس (1818.1883) وإنجلز (1820.1895) وإنما هو أساس اهتمام نوعي يتجلى في الفهم المعايير للمجتمع، وأيضا في الزوايا التي ينظر إليها في الأدب⁽³⁾، ومن ثم في طبيعة العلاقة بين الأدب والمجتمع .. هذا الفهم المعايير كان من نتيجته أن ظهرت مناهج نوعية مختلفة للتعامل مع الأدب، جاءت نتيجة

1 . سيدالبحراوي المرجع السابق ، ص22

2 . شوقي ضيف المدخل الإجتماعي للأدب القاهرة، دار المعارف، ط 8 ، ص120.

3 - سيدالبحراوي، المدخل الإجتماعي للأدب ، القاهرة، دارالثقافة العربية سنة 2001، ص27.

طبيعية للخواص الأساسية للمادية الجدلية كمنهج حاكم لمجمل مفاهيم الماركسية في الميادين المختلفة.

ولعل أول إشكالية نقدية ظهرت في أحضان النقد الماركسي أو كما يسمى "الواقعية الاشتراكية" هي قضية "الانعكاس" إذ رأوا أن العمل الأدبي مجرد مرآة عليها أن تعكس الواقع الأدبي وقضاياها أليس هناك خطأ والصواب تعكس الواقع الاجتماعي . و كان أول من ألح على هذا المفهوم من نقاد الأدب الماركسيين هو "جدانوف" و"بليخانوف" ففي أعمالهما نجد "إلحاحا على ضرورة أن يعكس الأدب الواقع الاجتماعي " وأن يلتزم بقضايا الطبقات، و خاصة الطبقة العاملة، وأن يكون قادرا على أن يدرك صيرورة الصراع الاجتماعي، ويجسده في عمله بوسائله الفنية، ومن هنا جاءت أولية المضمون (الاجتماعي) على الشكل، بحيث يصبح الشكل وسيلة لتجسيد المضمون، ومدى مقدرة الكاتب على "عكس" قضايا الواقع الاجتماعي"¹ والملاحظ في إطار هذا المقياس أن العلاقة بين الأدب والمجتمع كانت تدرس في اتجاهين أولهما انعكاسات المجتمع في الأدب ، و الثاني تأثير المجتمع في الأدب و ما يستتبع ذلك من محاولة النفوذ إلى معرفة طبقة الأديب الاجتماعية التي ينتمي إليها، و ما عاش فيه من أوضاع إقتصادية، ومدى استجابته لموقف طبقته وصدوره عنها في آثاره.

على أن مسألة (الانعكاس) بدت أمرا بديهيا أن يعكس الأدب قضايا وهموم المجتمع، ولعل هذه البديهية أسلمت إلى بديهية أخرى تتعدى الأدب إلى الأديب نفسه، هذه البديهية الأخرى عرفت ب "الإلتزام" وقد ظهرت أول ما ظهرت كقضية دار حولها النقاش في ضوء مبدأ الانعكاس... وبديهية الإلتزام تقول "الأديب لا يطلب منه في أدبه أن يعكس علاقات مجتمعه وأوضاعه فحسب، بل يطلب منه أن يشارك في تكييف مجتمعه، بحيث يصبح جزءا لا يتجزأ من كل ما يجري فيه من مشاكل وقضايا ومعارك، بحيث يزود عنه حين يطلب منه الذود فينبري للدفاع عنه بقلمه"⁽²⁾.

ولعل هذا دفع النقاد الواقعيين الإشتراكيين إلى النظر إلى أديب غير ملتزم على أنه صاحب برج عاجي، وكل ما يصدر عنه هو "أدب البرج العاجي" ولعل النقاد الواقعيين الإشتراكيين العرب في

¹ - سيد البحراوي، المرجع السابق، ص29.

² - شوقي ضيف مرجع سابق، ص103

حققتي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي كانوا أكثر جدلا وعنفا فيما وصل الأمر عندهم حد السباب والإتهام لكل من لم يلتزم في أدبه من أصحاب المذاهب الأخيرة. ولعل أعنف من تصدى للذود عن قضيتي الإنعكاس والالتزام منهم "حسين مروة" في لبنان و"محمود أمين العالم" في مصر.

ومما يلاحظ هنا أن سجلا لا تزال المكتبات تحفظه بين رفوفها، بين أصحاب هذا الاتجاه الإشتراكي وخصومهم ومدى الإتهامات المتبادلة بينهما.. في كتابه "قضايا أدبية" يبدأ حسين مروة في مقدمته بالقول: "وليس قصدنا الآن أن ندفع المفتريات والأباطيل والأراجيف كلها، فإن الكثير منها لا يحتاج إلى شئ من العناد في دفعه، لأنه يحمل في ذاته سبب انفجاره وانتحاره، وإنما القصد هنا أن ندفع تهمة يكثر ترادها اليوم على الألسنة و الأفلام التي عبأها ذوي الرجعية في بلادنا العربية، لتضع الأشواك في طريق الفكر النقدي الجديد من حيث كونه يقف مواقف معينة تجاه القضايا الوطنية، الإجتماعية والسياسية، قد جرد نفسه من جماليات الفن. ونزل عن خصائص الشخصية التي هي مصدر القيم الجمالية في العمل الأدبي"¹.

وفي موضع آخر من المقدمة يقول: "ولاشك أن أدبا أوفنا مثل هذه القوة "الديناميكية" في مساندة الحركة الوطنية المناضلة في بلداننا المناضلة، لا بد أن تعبى له قوى الإستعمار والرجعية كل ما تستطيع تعبئته من وسائل المقاومة والإرجاف والتضليل، وأخطر هذه الوسائل أن يقوم في روع الأدباء العرب أن دخولهم المعتك يفسد عليهم خصائص الجمال الفني في أدبهم، فيؤدي بهم ذلك إلى اعتزال الحياة العامة، وإلى الوقوف من القضايا الوطنية و الإجتماعية والسياسية معا موقفا سلبيا في ظاهره، وهو في حقيقته العلمية ينتهي إلى موقف إيجابي رجعي، لأن معناه بالواقع، خسران القضايا الوطنية هذه القوى "الديناميكية" التي يستطيع الأدب أن يدفع بها حركة الجماهير المناضلة لتحقيق السلم والإستقلال الوطني وهناءة الشعب"² ولعلنا قد لحظنا أن "حسين مروة" يلمح إلى أن كل من ليس معهم فهو من الاعداء (الاستعمار والرجعية) وأنهم وحدهم الوطنيون التقدميون . والحقيقة كما نلمح أن هذا النموذج الواقعي الإشتراكي لا يفرق بين السياسي والأدبي وأنه كان يعبر بأريحية واسعة إلى حد كبير فوق الأدب، ليحدد ما يجب

¹ - حسين مروة، قضايا أدبية، القاهرة، دار الفكر ، سنة 1956، ط1، ص6.

² حسين مروة قضايا ادبية.القاهرة، دار الفكر سنة.1956 ط1 ص8

أن يكون عليه الأدب في علاقته بالمجتمع وقضاياها و همومه، وفي هذا ما يمكن أن نعتبره تكريسا للإيديولوجية لخدمة المؤسسة التي تحكم الأدب نفسه.

كذلك: أن ممارسة كهاته يمكن أن تتم في إطار مرجعي تتبناه الدولة والمجتمع سياسيا و ايدولوجيا، كما كان يحدث في الاتحاد السوفياتي حيث كانت حركة الأدب تسير في إطار توجيه الحزب و الدولة، يكفينا تدليلا على هذين مؤتمرات الكتاب السوفياتيين كان تعقد في الكرملين، شأنها كشأن المؤتمرات السياسية، وتبدأ وقائعها بكلمة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي"¹).

وفي إطار كهذا يجد الأديب نفسه صاحب دور مؤسسي أيضا، وهذا هو الهدف منذ البداية: أن يضع الأديب نفسه وسط الجماهير كمناضل سياسي، أو كما قال الناقد السوفياتي "زيمنكو" الأديب عضو قائد في المجتمع، إنه وجه جماهيري، إنه نفسه رجل سياسة"². ولكي يصل الأديب لهذه الوضعية كان لابد أن ترعاه المؤسسة وتوجهه منذ البداية، كما ذهب "جان بول سارتر" يصبح الأديب الملتزم هو ضمير المجتمع وناصحه الأمين، وطفله المدلل في الآن نفسه"³.

وفيما يبدو أن أنصار فكرة "الإلتزام" في كل مكان و زمان كانوا صورة واحدة عنيفة في الهجوم على خصومهم، فالمطالع لكتاب "جان بول سارتر" المعنون "ما الأدب" يجد جملة من الأساليب الساخرة و التهكمية على خصوم "الإلتزام" تصل إلى حد الكوميديا التي تستغرق الكاتب وأن أستثنى الشاعر من الإلتزام، معللا ذلك بأن خطاب الشعر غير نفعي في الأساس بخلاف النثر، فعمل النثر حسب رأيه "إنما هو إعراب عن المعاني" وهذا في رأيه مجال النثر، أما الشعر فإنه كالموسيقى و الرسم و النحت، و من الخطأ أن نزع بهم في الأغراض النفعية⁴ في هذا الكتاب نجد هجوما لاذعا على أصحاب الإتجاهات النفعية في دراسة الأدب، كما نجد هجوما أعنف

¹ يرجع في هذا إلى المرجع السابق لحسين مروة ص76 وما بعدها حيث نجد تغطية كاملة لوقائع مؤتمر الكتاب السوفياتيين الثاني الذي عقد بموسكو من 15 الى 25 ديسمبر سنة 1956 .

² عن حسين مروة مرجع سابق ص 27.

³ يرجع في هذا إلى جان بول سارتر في كلمة ماالأدب؟ الفصل الثالث (لمن تكتب؟) ترجمة د. محمد غنيمي هلال. مكتبة الأسرة القاهرة سنة 2000 الهيئة المصرية العامة للكتاب.

⁴ يرجع في هذا الجان بول سارتر المرجع السابق ص 22 وما بعدها.

على أنصار الفلسفة الجمالية ممن يرفعون شعار "الفن للفن" أما هجومه الأشد عنفا فكان على أصحاب الإتجاه الموضوعي ممن يمجدون هروب الأديب و تعاليه على مجتمعه، و سخريته منه، حتى لأنه شبه مثل هؤلاء الأدباء الهروبين المنفصلين عن قضايا مجتمعهم بالموتى، وشبه نقادهم بحراس المقابر⁽¹⁾.

وربما لذلك وجد خصوم الإلتزام الفرصة سانحة للهجوم المضاد فنعثوا أصحاب الإلتزام "بالمؤدلجين" كما نعثوا نتاجهم الأدبي بأنه "أدب موجه".

وهكذا كان على هذا النموذج أن يواجه خصومه الذين يرون أن كلمة "الإلتزام" في هذا النموذج إنما تعني "الإلزام" يقيم في وجه الأدب اشتراطات سلطوية يأبأها الأدب نفسه كعملية إنتاجية لها اشتراطاتها الذاتية التي ترفض. من حيث المبدأ التسلط، وهي تسعى إلى التحرر و التفلت من ربة الأطر المسبقة، سواء كانت نظرية رؤيوية أو سياسية أو ايديولوجية، وحتى فنية على مستوى الآليات والتقنيات، وإذا كانت ثمة حرية مزعومة للفنان في هذا الإطار فإنها حرية مؤطرة، تقوم على أساس الإختيار والإنتقاء داخل الإطار المحدد سلفا أو كما قال "حسين مرة" : إختيار الجوانب الحية النامية في الواقع، وإنتقاء الظواهر البنائية في حياة المجتمع وبهذا. حسب زعمه، تقوم حرية الأديب، وتظهر شخصيته الاجتماعية الواعية البصيرة المسلحة بالتجربة الكاملة المتطورة². وفيما بدا أن "حسين مرة" كغيره من النقاد الواقعيين الإشتراكيين متأثر بما طرحه "جورج لوكاتش" (1886.1971) أهم دارسي الأدب الماركسي، وماترحه لوكاتش أكد فيه على أن الكاتب الواقعي هو الكاتب القادر على أن يصل من خلال تجسيد الملامح الفردية لشخصية ما إلى الخصائص التي تربطها ببقية أفراد مجتمعها، وهي خصائص ناتجة عن طبيعة الصراع الاجتماعي في كل لحظة تاريخية محددة³ وفي الإطار نفسه طرح لوكاتش مفهوم "رؤية العالم" و يقصد بها رؤية الكاتب للعالم التي هي بدورها رؤية الجماعة للعالم، وفي رأيه أن المشاعر والأحاسيس ومهما تكن أساسا خاصة بالكاتب نفسه إلا أنها. عند لوكاتش نتاج للطبقة أو الجماعة التي ينتمي إليها الكاتب.

¹ يرجع في هذا الى جان بول سارترالمرجع السابق ص45.

² حسين مرة. مرجع سابق ص26.

³ سيد البحراوي مرجع سابق ص29.

أما الإشكاليات النقدية التي أثارها نموذج الواقعية الاشتراكية أو أثارها خصومه في وجهه كانت إشكالية "الشكل والمضمون" أو "الشكل والمحتوى" فقد أعطى هذا النموذج كل عنايته للمحتوى أو المضمون الاجتماعي وجعله مقياسا عاما للحكم على أدبية العمل الأدبي وجودته بحيث يتحدد مستوى جودة العمل الأدبي بجودة مضمونه الاجتماعي، وخلاصة القول عندهم: أن "مضمون الأدب في جوهره يعكس مواقف و وقائع اجتماعية"¹. وبصرف النظر عن الشكل الفني الذي تجسد فيه هذا المضمون الاجتماعي، ولذلك كان الإهتمام الموجه إلى نتاج إتباع هذا النموذج أنه يفقد قيمته الفنية أو الجمالية في الطريق، أو أنه كثيرا ما يضحى بالفن عبر مسيرة تشكله.. ولعل ما ساد بعد ذلك من نماذج نقدية في الإطار الاشتراكي هو نموذج "لوسيان جولدمان" (1970.1913) صاحب منهج "البنوية التوليدية" الذي ركز فيه على عنصر الرواية فقط، بل على عنصر واحد من عناصر الرواية هو "البطل" مركزا على خصائص فكرية وقيمة، أما الخصائص الشكلية الفنية فقد كانت غائبة عن نظره، دون أدنى إهتمام بالبنى السردية اللغوية، رغم بنيويته وزعمه التعامل مع البنية النصية، إلا أنه ظل يبحث عن التماثلات المضمونية فقط ولعل هذا التطرف عند الواقعيين الاشتراكيين في العناية بالمضمون على حساب الشكل، هو ما أدى إلى ظهور تطرف آخر عند الشكلانيين الروس عمد إلى قلب المائدة كما يقول "تيري إجلتون" كانت الشكلية الروسية في جوهرها تطبق اللغويات على دراسة الأدب، ونظرا لأن اللغويات المعنية من نوع شكلي، تهتم ببنيات اللغة أكثر من إهتمامها بما يقول المرء فعلا، فقد تغاضى الشكليين عن تحليل "المضمون" الأدبي إلى دراسة الشكل الأدبي، بدلا من أن ينظروا إلى الشكل على أنه تعبير عن المضمون، جعلوا العلاقة تقف على رأسها: فالمضمون هو مجرد "الحافز" الشكل، مجرد وسيلة وفرصة لنوع خاص من التدريب الشكلي"².

إلى هذا الحد نكون قد وصلنا إلى أن العلاقة بين الأدب والمجتمع لم تكن هامشية في التاريخ الأدبي، بل كانت على درجة من الأهمية، ومحل إهتمام الفلاسفات التي تبنتها، وقد لاحظنا أن ثمة قضايا فرعية كثيرة فلسفية ونقدية إنطرحت على ضفاف هذه العلاقة في مسيرتها عبر التاريخ الأدبي كله، وقد قامت حولها أيضا مدارس أدبية تبناها وتعلي من شأنها وتراها جوهر الأدبي،

¹ عبد العظيم انس ومحمد أمين العالم، في الثقافة والأدب، ص 71.

² تيري إجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة احمد حسان، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، سنة 1991. ص 14.

فيما قامت مدارس أخرى تحاول أن توازن في نظرتها إلى جوهر الأدب بين الشكل والمضمون، كما قامت مدارس أخرى تتنكر لهذه العلاقة، وإن كانت لا تنكرها، طارحة مفاهيم أخرى بديلة حول الأدب وحددت وظائف أخرى واعتبرته محض هروب من الواقع والمجتمع وقضاياه.

فالعلاقة الأدب بالمجتمع كانت دائما خاضعة للمراجعة، وعرضة لوجهات النظر ولإشتراطات تاريخية وفلسفية مرتبطة بظروف مرحلية كانت في الأغلب سياسية و اجتماعية.

الفصل الأول: الرواية الجزائرية بغير لغة الأم (بالخطاب الآخر)

- تمهيد
- المبحث الأول: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية المفهوم والنشأة.
- المبحث الثاني: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وسؤال الهوية

الفصل الأول: الرواية الجزائرية بغير لغة الأم (بالخطاب الآخر)

تمهيد:

إن دراسة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من المواضيع الحساسة والهامة، فلطالما كانت محل اهتمام، سواء من المتلقي العربي أو الأجنبي، حيث ينبغي على متلقي الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية امتلاك حس فني يساعده على فهم أبعاد هذا العمل والكشف عن معانيه الضمنية والمدلولية، فأغلب هذه الروايات كان أساسها واقع المجتمع الجزائري السياسي، والاجتماعي، والفكري، والديني؛ من هذا المنطلق يمكننا أن نلج إلى مفهوم الرواية.

المبحث الأول:

الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية المفهوم والنشأة

تعريف الرواية:

لغة: تعددت تعريفات مصطلح الرواية في المعاجم اللغوية، ولقد جاء في المعجم الوسيط قولهم: "روى على البعير رياء: استسقى، روى القوم عليهم ولهم، استسقى لهم الماء روى البعير، شد عليه بالرواء: أي شد عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، روى الحديث أو الشعر رواية أي حملة ونقله، فهو راو (ج) رواة، وروى البعير الماء رواية حملة ونقله، ويقال روى عليه الكذب، أي كذب عليه، وروى الحبل رياء: أي انعم فتله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي: راوي الحديث والشعر حامله وناقله، والرواية، القصة الطويلة"¹.

ونجد تعريفاً آخر لابن منظور في لسان العرب أنها: "مشتقة من الفعل روى، وقال ابن السكيت: يقال رويت القوم أرويتهم، إذا أسقيت لهم، ويقال من أين ريتكم؟ أي من أين تروون الماء؟ و يقال روى فلان فلاناً شعراً إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه"².

يمكننا من خلال التعريفين اللغويين أن نلاحظ أن المدلولات المشتركة للرواية في مجموعها عملية الانتقال والجريان والإرتواء المادي "الماء" أوالروحي "النصوص والأخبار" و كلا النوعين كان ذا أهمية في حياة العربي فلقد كان الماء هدفهم المنشود من أجله يجلون ويرتحلون، وكانت

¹ إبراهيم مصطفى حامدعبدالقادر، أحمدحسين الزيات، محمدعلي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الاسلامية للطباعة

والنشر والتوزيع اسطنبول، د ت، د ط، ص384.

² ابن منظورالافريقي، لسان العرب، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، 200، ط2، ص281.280.

رواية الشعر، الضرورة اللازمة لكل شاعر، كما كانت الرواية الوسيلة الأولى لحفظ الإشعار والأخبار والسير.

هنا لا بد أن نشير إلى المعاني اللغوية التي تتقاطع مع مدلول كلمة رواية وتحمل معناها.

ومن خلال هذه المعاني اللغوية نجد أنه لا مناص من إيراد التعريف أو المفهوم الإصطلاحي للرواية بصفاتها جنساً أدبياً منفرداً.

تعريف الرواية اصطلاحاً:

من الصعب الوقوف على تعريف واحد دقيق للرواية، كجنس أدبي مستقل وثبتت جذوره في الأدب بشكل دقيق وهذا ما ذهبت إليه "مارطاروبار" بقولها " بأن الرواية لم تحظ بتعريف دقيق. وهي إلى حد ما غير قابلة للتعريف"¹.

ولقد أشار الدكتور عبد المالك مرتاض إلى أمر صعوبة الرواية لكونها زبئية المفهوم قائلاً: " والحق إننا بدون خجل ولا تردد نبادر إلى الرد عن السؤال بعدم القدرة عن الإجابة"²

والسؤال الذي يعنيه مرتاض هو ماهي الرواية؟

وقبله نجد " ميخائل باختين" يرى أن تعريف الرواية لم يجد جواباً بعد بسبب تطورها الدائم^[3]، إن هذا اللون من الأدب بالإضافة إلى "قولدمان" كلام مفكك: " يعيد النظر في كل الأشكال التي استقر فيها"⁴.

صعوبة تعريف الرواية يستدعي منا ذكر بعض التعاريف لبعض الدارسين في هذا الصدد فهناك من قال بأنها: " هي رواية كاملة وشاملة وموضوعية وذاتية، تستعير معمارها من بنية المجتمع، وتفسح مكان التعايش فيه لأنواع الأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات و الطبقات المتعارضة جداً"^[5]. ونجد من قال بأنها جنس أدبي يشترك مع الأسطورة و

1 - سيد حامد النساج . بانورما الرواية العربية الحديثة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، ص13.

2 - مرتاض عبد المالك: الرواية جنساً أدبياً، مجلة الاقلام، وزارة الثقافة والاعلام، بعد 1986 ص124

3 - باختين ميخائل: الملحمة و الرواية، ترجمة و تقديم جمال شحيد: كتاب الفكر العربي 3 بيروت 1982، ص66.

4 - باختين ميخائل ، نفس المرجع السابق، ص66.

5 - العربي عبدالله، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، تر، مُجد عثمان، دار الحقيقة بيروت 1970 ص:31.

الحكاية... في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية، وتصور ما بالعالم من لغة شاعرية، وتتخذ من اللغة تعبيرا لتصوير الشخصيات، والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية للعالم¹، وتقول لعزينة مريدين عن الرواية: "هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، عدا أنها تشغل حيزاً كبيراً، وزمناً أطول، وتتعدد مضامينها، كما هي في القصة، فتكون منها الروايات العاطفية، والفلسفية، والنفسية، والاجتماعية، والتاريخية"².

كما تعرف الرواية بأنها شكل أدبي و نوع سردي نثري تتميز عن الأنواع القصصية الأخرى بقالب فني خاص ظهرت في فترة تاريخية معينة، ولقد عبد لها الطريق كثير من الكتاب بتجارهم ومحاولاتهم الفنية الأصيلة رسخوا مقومات هذا الشكل الأدبي و أرسلوا تقاليد، واحتلت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مكانتها في الجزائر إلى جانب الكتابات الروائية التي يكتبها الفرنسيون المولدون في الجزائر أمثال "روبيرراندو" و "هنريكسريا"³.

الرواية هي الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع البرجوازي، وهناك آثار أدبية يعود تاريخها إلى العصور الوسطى، غير إن لخصائص الرواية أواصر قرى متعددة لم تبدأ في الظهور إلا بعد إن صارت الرواية مع مرور الزمن كونها تناولت الإنسان و المجتمعات الإنسانية التي تعرف في الوقت نفسه أنها دخلت التاريخ لأن تاريخ البشر مصنوع من طرفها ومن طرف بعض المجتمعات البشرية، فتحلت فكرة التفكير حيزاً أساسياً في تكوين الرواية⁽⁴⁾.

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم نجده قائلاً إن: "الرواية سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية، من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية تشكيل أدبي لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرير الفرد من رقبة التبعات الشخصية"^[5].

¹ سمير سعيد حجازي، النقد العربي، 2005 ط1 ص297.

² عزينة مريدين القصة و الرواية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1971 ص20.

³ الطاهر رواينسية اتجاهات الرواية العربية في بلدان المغرب العربي، 1985.1986 ص32.

⁴ - جورج لوكاتش، (الرواية) تر: مرز اقبقاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص87.

⁵ - فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الادبية المؤسسة العربية للنشرالمتحدنين تونس 1988 ص61.60 نقلا عن صالح مفقود، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، ماجستيرجامعة منتوري قسنطينة 2001، ص30.

وأوردت في تعريف لها الأكاديمية الفرنسية أنها "قصة مصنوعة مكتوبة بالنشر يشير صاحبها إهتماماً بتحليل العواطف ووصف الطباع وغرابة الواقع"^[1].

ونجد من عرف الرواية بأنها "مجموعة حوادث مختلفة التأثير تمثلها عدة شخصيات على مسرح الحياة الواسع شاغلة وقتاً طويلاً من الزمن، ويعتبرها بعض الباحثين الصورة الأدبية النثرية التي تطورت عن الملحمة القديمة"^[2].

إستنتاجاً مما سبق فالرواية هي تلك المرآة التي تعكس على صفحاتها كل مظاهر الواقع المختلفة، وهي تجربة فنية منفردة باعتبارها ضرباً من الخيال النثري مجسداً في إبداع الكاتب، وفيها يعالج موضوعاً كاملاً واسعاً يكشف فيه عن حياة أبطاله وما يصادفهم من حوادث عبر الوقت فالرواية أكثر الفنون الأدبية ارتباطاً بالواقع وأشدّها التصاقاً بموضوعاته ومشابهة له.

نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

من أسباب تأخر الرواية الجزائرية في الظهور عن الرواية العربية و بخاصة في المغرب العربي دخول الإستعمار حيث حاولت فرنسا طمس الهوية الجزائرية من خلال فرض ثقافتها وأدبها ولغتها على الشعب الجزائري مما أدى إلى ظهور طائفة من الكتاب الجزائريين يكتبون باللغة الفرنسية لذا فإن ولادة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية وغيابها باللغة العربية، هو ميلاد إستثنائي كانت نتيجة لظروف عاشها أفراد استثنائيون تمكنوا من ولوج المدرسة الفرنسية والإحتكاك بالثقافة والفكر الغربي فكان إن قدموا لنا إنتاج إبداعي في جنس الرواية حيث يوظف الروائي اللغة الفرنسية كوسيلة للتعبير عن هموم الإنسان الجزائري، ومن بينهم "مُحَمَّد ديب" في ثلاثيته، و"آسيا جبار"، و"كاتب ياسين" و"مولود معمري"، و"مولود فرعون"... إضافة إلى سبب آخر وهو إنعدام نماذج روائية جزائرية بالعربية يمكن تقليدها والنسج على منوالها.

نستنتج مما سبق أن الرواية الجزائرية ظهرت متأخرة مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى، وكان معظم كتابها يكتبون باللغة الفرنسية في فترة الاستعمار ذلك أن الثقافة الفرنسية كانت تطغى على الثقافة العربية آنذاك لكن بعد ذلك ترجمت الروايات الجزائرية إلى العربية.

¹ - مصطفى الجويني في الأدب العالمي، القصة، الرواية والقصة و السيرة، منشأة المعارف الاسكندرية 2002، ص 13.

² احمد ابوسعيد، فن القصة، ج 1 منشورات دارالشرق الجديدة 1959، ص 25.

إن اتخاذ الجزائريين الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كأداة للتعبير عن آراءهم ومشاعرهم لا يعني كما يرى بعض النقاد أنه فرع من فروع الأدب الفرنسي وأن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية متعلقة بالثقافة الفرنسية الإستعمارية، بل إن هذه الكتابات مقتبسة من الهوية الجزائرية فتحمل تقاليد الشعب الجزائري والمجتمع الجزائري وتتناول حياته اليومية، وتعبر عن آماله وآلامه وما يطمح إليه¹.

ومن الأسباب التي أدت بالكتاب الجزائريين إلى الكتابة باللغة الفرنسية إرتفاع نسبة الأمية وقلة دور النشر باللغة العربية، ورغم حتمية الثقافة الفرنسية على هؤلاء الكتاب لكن كتاباتهم جسدت واقعهم الإجتماعي فكتبوا للثورة والعذاب والمرض.

اتجه بعض الأدباء الجزائريين من الجيل الثاني والثالث إلى الكتابة باللغة الفرنسية بسبب استقرارهم في فرنسا بعيدين عن الوطن مما أكسبهم ثقافة فرنسية². بينما بقيت قلوبهم وأرواحهم جزائرية فخورين بانتمائهم للجزائر وهذا ما عكسه أدبهم وميزهم عن نظرائهم الذين يكتبون بالعربية سواء جزائريين أو من أقطار عربية مختلفة، فظهور الرواية عند الغرب أقدم وأنضج من ظهورها عند الشرق خاصة في فرنسا حيث كان الفرنسيون يجيدون هذا الفن ويتقنونه إبان احتلالهم للجزائر، وكان الجزائريون المتصلين بالفرنسيين على علم بهذا الفن ولكن الظروف الإجتماعية والإقتصادية القاهرة التي عانوا منها بالإضافة إلى انتشار الجهل والامية حالت دون ظهور العمل الروائي الجزائري حتى مطلع عشرينيات القرن العشرين أين بدأت الحركة الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تؤسس لنفسها متناً هو مرآة لذاتها³.

فالحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية هو حديث أيضا عن ظهورها والمراحل التي مرت بها ويمكن حصرها في:

الرواية في فترة ما قبل الاستقلال:

¹ نور سلمان "الادب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص112، "مجلة القسم العربي النقد و محددات الجنس الرائي الجزائري العدد26ص72.

² بوبكر بوسكين، حوار مع واسيني الاعرج مجلة الموقف الأدبي ، ص160.

³ حفناوي بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري، أفاق التجديد ومتاهات التجريد، دار العرب سن2004. ، ص8.

لقد انفردت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بأسبعية الظهور على الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، حيث شهدت سنوات الخمسينيات من القرن العشرين تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بغية طمس المجتمع الجزائري الذي كان يمر بمرحلة تحويلية كانت نتيجتها إندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م، والتي وقفت نداءً للمستعمر الفرنسي بالجزائر ووضعت له حداً، وكانت اللغة العربية في هذه الفترة لاتزال غارقة في خطاباتها الإصلاحية، متأثرة بالنهج الإصلاحي والتربوي لجمعية علماء المسلمين الجزائريين التي اعتمدت على الشعر والمقالة في تبليغ رسالتها التربوية الإصلاحية ولم تتفطن للرواية كجنس أدبي ذو أهمية في المجتمعات التي تفتتح على الحداثة الاجتماعية و الأدبية¹.

ومما أدى إلى تأخر ظهور جنس الرواية باللغة العربية في الجزائر الرؤية الإصلاحية لجمعية علماء المسلمين، رغم ظهور الرواية باللغة الفرنسية على يد كتاب جزائريين في نفس الفترة وهذا ما جاء به "مخلوف عامر" في كتابه "الرواية والتحويلات في الجزائر" حيث يؤكد أنه: "منذ الحركة الوطنية كانت الأولوية دوماً للخطاب السياسي الأيديولوجي، فلم يول أدباء جمعية علماء المسلمين الجزائريين في كتاباتهم إهتماماً بالناحية الجمالية مثلما كان الأمر بالنسبة للدلالة السياسية والاجتماعية، فبقي الشعر في حدود القوالب التقليدية ولم يضاه شعر المهجر وتجديداته، ونال فن المقالة الحظ الأوفر من الكتابة الثرية ثم كان المقال القصصي فيما بعد أقصى ما بلغه الفن القصصي قبل حرب التحرير"².

وهذا ما أكده وذهب إليه "واسيني الأعرج"، و"رمضان حمود" حيث كتب رمضان حمود قوله "إنهم بلغوا الأمانة التي استودعت في أيديهم إلى أيدينا بغير خيانة ولا تقصير لا أكثر، ولا أقل، و الأمانة هي اللغة العربية لاغير"³ وقد ربطت الجمعية الأدب والنقد بأهدافها وفق رؤية إصلاحية ترى أنه من الضروري الحفاظ على مقومات الهوية الجزائرية من لغة ودين دون أية إضافة في المجال الأدبي المتوارث، وبالرغم من الأهمية الحضارية لهذه الرواية الإصلاحية في ظل الظروف التي عاشتها الجزائر المستعمرة ولاسيما مع محاولة الإستعمار الفرنسي طمس هوية

¹ عامر مخلوف الرواية والتحويلات في الجزائر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000 ص 10.

² عامر مخلوف المرجع نفسه ص 10.

³ جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، المركز الوطني في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عاصمة الثقافة العربية وهران، الجزائر 2007 ص 16.

ومقومات الشعب الجزائري من لغة ودين إلا أنها وقفت في طريق النهضة الأدبية على غرار ما عرفته الأقطار العربية المشرقية أواخر القرن التاسع عشر¹.

وبالرغم من رفض بعض النقاد الجزائريين الطرح القائل بوجود علاقة بين الدور الإصلاحية لجمعية علماء المسلمين الجزائريين وتأخر جنس الرواية باللغة العربية في الجزائر إلى ما بعد الإستقلال إلا أن الأغلبية تميل إلى تأكيد هذا الطرح، ويرى "جعفر يايوش" في كتابه الأدب الجزائري الجديد "التجربة و المآل" عكس ذلك حيث يؤكد أن الفضل في تحريك الهمم و شحذ القرائح وسريان الأقلام يرجع إلى زعماء الحركة الإصلاحية في الجزائر لأنهم خصصوا صحافتهم المكتوبة ومنتدياتهم الفكرية ومدارسهم التعليمية للتنافس مع الأدباء والمفكرين²، وهذا ماذهب إليه الدكتور "عبد المالك مرتاض" وأكدته في كتابه "فنون النشر الأدبي في الجزائر 1931/1954"، حيث قام بجمع مادة بحثه من 32 مجلة و صحيفة جزائرية صادرة بين سنتي 1925 و 1956 مستخرجاً منها 16 قصة ورواية واحدة و 11 نصاً مسرحياً، ومعظم هذا الإنتاج نشر في مجلات علماء المسلمين الجزائريين³. وإذا اتخذنا موقفاً نهائياً بشأن النهج الإصلاحية لجمعية علماء المسلمين الجزائريين ودوره في تأخر ظهور جنس الرواية الجزائرية وعرقلة طريق التجديد الأدبي بسبب لغة الجمعية الدينية أولاً، وحينها إلى الماضي فيما يخص فنون الشعر والنثر الغربيين ثانياً فإنه يمكننا القول بأن الجمعية لم تأت بإضافة نوعية بالمقارنة إلى ما كان يجري حولها، سواء في المشرق العربي الذي شهد نهضة أدبية حقيقية أو في الجزائر التي شهدت بعض المحاولات الروائية من كتاب جزائريين يكتبون باللغة الفرنسية سرعان ما تحولت إلى ظاهرة أدبية خلال فترة الخمسينيات وهذا ما سيأتي من خلال الحديث عن نشأة الرواية الجزائرية ذات اللسان الفرنسي. بالرغم من المحاولات الأولى في التأليف الروائي باللغة العربية في الجزائر مع "رضاحوحو" (عادة أم القرى 1947) و "عبد المجيد الشافعي" (الطالب المنكوب)، و "نور الدين بوجدره" (الحريق) إلا أننا ننتظرنا ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية في شكلها ومعاييرها الفنية المعروفة إلى عاية سبعينيات القرن الماضي.

¹ جعفر يايوش المرجع السابق ص 17.

² جعفر يايوش المرجع السابق ص 17.

³ المرجع نفسه ص 17.

يرى بعض النقاد أن الميلاد الفعلي للرواية الجزائرية كان سنة 1950 على يد أقلام جزائرية تعلمت بالمدراس الفرنسية وهذا ما سنتطرق إليه فيما بعد إلا أننا إذا تعمقنا بعض الشيء في أصول هذا الجنس الأدبي نجد أن أول قصة جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية نشرتها المجلة الجزائرية التونسية الأدبية والفنية سنة 1891م للعلامة سي أمجد بن رحال التدرومي تحت عنوان "انتقام الشيخ" (lavengeanceducheikh)¹.

ويعتبر جان ديجو (Jean degeux) أن سنة 1920 عرفت البداية الحقيقية لهذا الجنس الأدبي، وذلك بفضل الروائي الجزائري محمد بن السي أحمد شريف برواية معنونة "القومي أحمد بن مصطفى" (goumier ahmedbenmostapha) يروي فيها يوميات أحد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الأولى².

ويذكر الدكتور أحمد منور في كتابه "الأدب الجزائري باللسان الفرنسي" أنه ما بين 1920 و1930م تظهر سوى خمسة أعمال أدبية مكتوبة باللغة الفرنسية.

أما في العشرية الموالية وبالتحديد في سنة 1934م نشر محمد ولد الشيخ رواية "مريم بين النخيل" (Myriemdanlespalmes). وقد لعبت الحرب العالمية الثانية دوراً كبيراً وفعالاً في نضج الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، فبعد أن حارب الجندي الجزائري جنبا إلى جنب مع الجندي الفرنسي "وكانوا مساوين للأفراد الفرنسيين في الواجبات وأقل منهم حقوقاً، وكردة فعل لهذا الوضع اتخذ التعبير عن الشعور بالمرارة اتجاهين إما المقاومة المسلحة أو الكتابة"³.

وعليه فقد جاءت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كرد على محاولات المستعمر الفرنسي لطمس هوية الشعب الجزائري، وكان ذلك على يد كوكبة من الأدباء الجزائريين الذين اكتسبوا نصيباً وافراً من الثقافة الفرنسية دون أن يفقدوا ذلك حسهم المرهف بنض مجتمعهم الذي كان وقتها يعيش أوضاعاً استثنائية على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والاجتماعية نذكر منهم

¹ أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياها ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2007، ص87.

² أحمد منور المرجع السابق ص81.

³ عايدة أديب بامية تطور الأدب القصصي الجزائري (1967.1925)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1982، ص59.

"مولود فرعون" وثلاثيته المشهورة "نجل الفقير (lefilsdupauvro) سنة 1950"، والارض والدم" (laterre ettesan) سنة 1953، والدروب الوعرة الشاقة (leschemlnsquimontent) سنة 1957، ومولود معمري وروايته المشهورة "النهضة المنسية"، و "الربوة المنسية" (lacollineoubliee) سنة 1955.

أما "مُجد ديب" فقد نشر أيضا ثلاثيته الشهيرة في عشرية الخمسينيات بداية ب"الدار الكبيرة" (lagrandemaison) سنة 1952، ثم "الحريق" (lincendie) سنة 1954 ليلحقها برواية "النوال" (lemetier atisser) سنة 1957، وواصل بعدها نشر باقي أعماله التي حصلت على شهرة عالمية واسعة،¹ وخلال نفس العشرية التي شهدت الميلاد الفعلي للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، أي في عشرية الخمسينيات من القرن الماضي نشر "كاتب ياسين" روايته الشهيرة "نجمة" سنة 1956

وقد سار على نهجه "مالك حداد" رغم أنه كان يحمل طوال حياته الهم المزدوج بين الإسـتعمار واللغة انطلاقا من روايته "الإنطباع الأخير" (laderniereimpresston) سنة 1958، ورواية "سأهبك غزالة" (jetoffriraianegazelle) سنة 1959 وكتب بعدها رواية "التلميذ والدرس" (leleveetlalecon) سنة 1960 وكذا رواية "صيف الأزهار لم يعد يجيب" (lequaiauxfleursnerepondplus) سنة 1961. فبالرغم من مأساة اللغة ظل هذا الأديب يعبر عن همومه الوطنية والقومية والإنسانية، وقد اعتبر النقاد رواية "نجمة" لكاتب ياسين من أعظم انجازات الأدب الجزائري وقد صور فيها المستعمر بوحشيته للمتظاهرين من أجل الحرية والعدالة، واعتبرت نوعاً من الكتب التي تسبق الثورات وتخطط لها.²

الرواية في فترة ما بعد الإستقلال:

لم يتوقف الروائي الجزائري عن الإبداع الروائي في هذا المضمار حتى بعد الإستقلال، فخرج هذا الفن من طابعه النضالي إلى تصوير حالة المجتمع الجزائري وهو في حالة السلم كما

¹ ابولقاسم سعد الله دراسات ي الأدب الجزائري ص 96.

² الزاوي ملين، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (بحث في تطور علاقة الانتاج الروائي بالادبولوجية من 1830.1982)، مخطوط ماجستير دمشق، ص 320.

أنه لم يتوقف عن التأريخ للفترة العصيبة التي غيرت ملامح الشعب الجزائري وهي روايات الستينيات كرواية (أطفال العالم الجديد) سنة 1962م "آسيا جبار"، و(العصا والأفيون) سنة 1956م لمولود معمري وهكذا واصل الروائي الجزائري التعبير عن الواقع مع التذكير بالثورة.

لقد شكلت الرواية الجزائرية الناطقة باللسان الفرنسي طفرة نوعية في المضامين خاصة أثناء الثورة وبعدها فقد أخذت على عاتقها تصوير كل أشكال الثورة كما سلطت الضوء على الوجه الحقيقي للإستعمار الفرنسي وأبرز الكتاب في هذه هم أنفسهم الذين تنبؤا بحدوث الثورة مع دخول كتاب جدد في الخط نفسه وأبرزهم "مُحَمَّد ديب"¹.

كما بدأ يظهر بعد منتصف الستينيات ضمن أدب الجزائريين المكتوب باللغة الفرنسية توجهها جديدا لاسيما في الرواية التي غلبت عليها النزعة السياسية الإنتقادية ولذلك سماه أحد الباحثين بأدب النزعة الإحتجاجية الاجتماعية والسياسية من بين هذه الأعمال أعمال مُحَمَّد ديب الروائية التي ظهرت ما بين 1968 - 1973 "رقصة الملك" و"إله أرض البربر" و"معلم الصيد" 1973.²

واستمر هذا التوجه الانتقادي و الإحتجاجي حتى وفاة الرئيس بومدين في أواخر شهر ديسمبر 1978م، ونجد ذلك بارزا في روايات "رشيد ميموني" خاصة مثل رواية "النهر المتحول" يشير عنوانها إلى المضمون الذي عبرت عنه الرواية؛ وهو تحول الثورة على يد العسكر عن مسارها النضالي ذي الطابع الشعبي وعن أهدافها الاجتماعية الطموحة، ونفس الشئ بالنسبة لرواية "طومنبيزا" 1984⁽³⁾.

وفي هذ الصدد يمكن القول إن الجامع المشترك بين هاته الكتابات الروائية هو البعد الوثائقي والاشهاري للتعريف بالقضية الوطنية فقد كان هؤلاء الكتاب يعطون الكلمة لأناس يعانون من عنف ثقافة المحتل ومن عنف العادات والتقاليد الأسرية.

كما عرفت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية موضوعا مهما كان يحضر دائما للوقوف على التحولات الاجتماعية والسياسية. ونقل الواقع الاجتماعي للشعب الجزائري، "ونعني به

¹ مُحَمَّد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د ط، 2006ص495.

² أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياها، ص120.121.

³ أحمد منور المرجع السابق 121.

موضوع السيرة الذاتية للمؤلفين. نذكر منها رواية "الشمس والغربال" (tamislesoussoleille) 1982. و"النظرة المحروجة" (blessiRegard) 1987. و كلاهما لرابح بلعميري و"رأس المحنة" (Elmihnaras) 1991 لـ"عبدالرحمان الوناس"¹.

واستمر هذا الإتجاه في الظهور حتى بعد مظاهرات أكتوبر 1988م وصدور دستور 23 فبراير 1989م الذي سمح بالتعددية السياسية ولعل أبرزها رواية "شرف القبيلة" 1989م لرشيد ميموني التي رصد فيها السلوكيات التي كان يقوم بها مسؤولوا واطارات ومناضلو الحزب الواحد"².

الرواية في فترة الأزمة:

تطورت الموضوعات الروائية بتطور الأوضاع و الظروف وصولاً إلى فترة حاسمة ألا وهي فترة التسعينيات وأخذت الرواية منعرجاً آخر عاجل موضوع الأزمة أو ما يسمى بالأدب الأسود فحاولت أن تؤسس لنص إبداعي مرتبط بالمرحلة التاريخية التي أنتجته وبالواقع الاجتماعي.

ظهرت رواية التسعينيات في مرحلة متأزمة من تاريخ الجزائر عرفت بالأزمة حيث وجد فيها الكتاب الجزائريون مناخاً مناسباً ومادة دسمة لأعمالهم الإبداعية بخاصة الرواية باعتبارها أكثر ملامسة وارتباطاً بالواقع وأكثر قدرة على نقل المأساة الوطنية.

إن الإرهاب ليس حدثاً بسيطاً في حياة المجتمع، وهو لا يقاس بالمدة التي يستغرقها، ولا بعدد الجرائم التي يقترفها بل بفظاعتها ودرجة وحشيتها، وعند ما يتعلق الأمر بالجزائر، فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعاً؛ إذا استغرق مدة غير قصيرة "... لكن إنشغال الناس به في سعيهم اليومي وأرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله بل إن ثقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب عليه أن يتنصل منه"³.

¹ أحمد منور المرجع السابق ص 124.

² أحمد منور ، الادب الجزائري باللسان الفرنسي ، ص 124.

³ مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية، د ط، مجلة عالم الفكر، مج 22، 1، ستمبر، 1998، ص 303-304.

لقد عصفت بالجزائر أزمة مست كل شرائح المجتمع لذلك أخذت الرواية الجزائرية العربية من جهة والرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من جهة ثانية منعرجاً آخر عاج موضوع الأزمة من المأساة الجزائرية.

وعليه فإنه لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تنشأ وتتطور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في أي حقبة زمنية بمعزل عن الوضع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري ذلك أن هذا الفن كغيره من الفنون الأخرى لا ينبت في الفضاء بل لا بد له من تربة خصبة.

إنه مع صعود المد الإسلامي في هذه الفترة ودخوله بقوة معترك السياسة أخذت تظهر أعمال روائية في هذا الأدب تنتقد هذا المد نقداً لاذعاً وتصوره في شكل خطر سياسي واجتماعي داهم يهدد الديمقراطية والحريات العامة، ومن ثمة تدعو بشكل صريح إلى التصدي له ومحاربتة بكل الوسائل.

وتعد أعمال "رشيد ميموني" القصصية والروائية الأخيرة أبرز النماذج في هذا الصدد مثل بعض نماذجه في مجموعته القصصية "حزام الغولة" 1990م وروايته "اللجنة" 1993¹ وعليه أطلق هؤلاء العنان لقرائحهم لنقل صورة مأساة الشعب الجزائري برمته تعبيراً عن هذه المحنة التي مرت بها الجزائر، كذا تصوير الواقع المرير الذي تأذت منه كل شرائح المجتمع الجزائري في هذه الحقبة السوداء هذه التسمية التي وردت من فرنسا أين كان الإهتمام برواية المحنة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية خاصة سلسلة روايات "ياسمينه خضرا" (yasmina khaddra)².

هذا الأخير الذي يعد من أبرز كتاب الرواية البوليسية في الجزائر، حيث تنقل روايته صورة صادقة عن الوضع الاستثنائي الذي مر به الوطن، وقد تناول مسائل اجتماعية وثقافية وسياسية ودينية كما تعرض إلى ثقافة العنف وكذا المعاناة المؤلمة التي مر بها المواطن الجزائري أثناء العشرية السوداء.

لقد كانت فترة التسعينيات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي يبحث عن تميز روائي إبداعي مرتبط بالمرحلة التاريخية التي أنتجت وبالواقع الاجتماعي الذي شكل

¹ أحمد منور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره، وقضاياها ص124.125.

² زهرة ديك، هكذا تكلم ياسمينه خضرا، هكذا تكلم هكذا أكتب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2013 ص111.

الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيون أن يستلهموا الأحداث و الشخصيات من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرتبطة ومرهونة بالظروف التاريخية و الاجتماعية والسياسية، وهو ما يعني أن الرواية شهادة على واقع حضور ذات المثقف المعذب الذي ذاق مرارة تلك المحنة في وطنه المجرّوح.

وخلاصة القول فمن خلال هذه التقنيات السردية وغيرها فإن الأدب الجزائري تمكن من رصد مختلف مظاهر المجتمع الجزائري بشتى جوانبه الاجتماعية والسياسية والثقافية والإقتصادية وخاصة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية والتي لاقت الإهتمام البالغ من طرف الأدباء والنقاد فقد حظيت فيه بدراسات فرضت وجودها في الساحة الأدبية، لكون الرواية أكثر الأنماط الأدبية التي تجسد الواقع وتتخذ من واقع الشعوب مساحة للتعبير عن الآمال و الطموحات وكذا الواقع الإجتماعي و المعيشي للفرد الجزائري الذي يعاني من ويلات الحرب لذا فقد عرفت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مجموعة من الكتاب البارزين ساهمو بدورهم في الإنتاج الأدبي الجزائري عامة والرواية بشكل خاص وكانت معظم رواياتهم قبل الإستقلال تعبر عن الوضعية السياسية والإجتماعية المزرية آنذاك، وبعد الإستقلال قدمت تصورات للظروف التي خلفها الإحتلال الفرنسي وما نتج عن ذلك من آثار وعواقب نفسية على الفرد الجزائري.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وسؤال الهوية.

ترتكز كتابة الرواية على أحداث واقعية تؤثر في الكاتب وتدفعه لإبداع نص يستمد صوره من الواقع غير أنه يضيف عليه شيئاً من الخيال يمنحونه تفرداً عن الواقع وعن بقية النصوص، وبما أن لكل رواية هوية ترتبط في أغلب الأحيان باللغة التي كتبت بها وبمؤلفها وبالفضاء الزماني والمكاني الذي تدور فيه أحداثها وبالمتلقي الذي سيقروها فإنه يمكن تحديد الهوية والثقافة التي تنتمي إليها الروايات ولكن ليس كلها فالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية موضوع بحثنا هذا خير دليل على ذلك كون تصنيفها من حيث هويتها وإنتمائها لازال يصعب على النقاد والباحثين وتوضيح ذلك يجدر بنا البدء بالتعرف على ماهية الهوية وخصائصها.

تعريف الهوية:

لغة : عرف اللغويون الهوية في مصنفاتهم على النحو الآتي:

في باب الهاء والواو وما يثلثهما: وأما الهوى: "هوى النفس... ويهوى بصاحبه فيها ينبغي له ... يقال منه هويت أهوى هوى..."¹.

وردت هذه اللفظة عند صاحب القاموس المحيط بمعنى "هويه كرضيه هوى فَهَوَّوْ أَحبه إستهوته الشياطين ذهب بخواه وعقله... وسوقه أهوى وداره أهوى مواضع."² كما جاء من "هويه، وهَوَّوْ، هي هوية، قال :

أراك إذالم أهوى أمر هويته*****ولست لما أهوى من الأمر بالهوى³.

ويشتق المعنى اللغوي لمصطلح الهوية من الضمير هو أما مصطلح "الهو" فهو يتركب من تكرار "هو" فقد تم وضعه كاسم معرف ب"أل" و"معناه الإتحاد بالذات، ويشير مفهوم الهوية إلى مجموع القيم الشخصية التقاليد، والعادات، والمقومات. وجاء في معجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بأن الهوية"فلسفيا (حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه عن غيره وهوية بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى الشخصية أيضا)⁴.

وأشار مُجَّد عمارة : " أن هوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكائنها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، فهي كالبصمة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الشمس إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتماً لتلك الجماعة"⁵. إن الهوية هي الصفة التي يتصف بها الشخص مع كل مواصفاته ولونه وشخصيته وتقاليده ولغته... الخ

¹ ينظر معجم مقاييس اللغة، الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح، عبد السلام هارون ، مج6، دار الجبل بيروت، ط1.1411.1991ص16.15.

² القاموس المحيط، مُجَّد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الجبل، بيروت ج 4، 1371، 4، 1952، ص407.

³ أساس البلاغة، ابن عمر الزمخشري، دارصادر، بيروت، ط1، 1312.1992، 708.

⁴ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر القاهرة، ط4، 2004، ص998.

⁵ مُجَّد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة في التنوير الإسلامي، ع32، القاهرة دار نضمة مصر، دت، ص6.

.ومن خلال هذه التعاريف المعجمية نستنتج أن الأصل اللغوي لمصطلح الهوية مصدر صناعي مشتق من الضمير "هو".

التعريف الإصطلاحي:

لفظ "الهوية" مصطلح تناول في علم الاجتماع و الفلسفة وكذا الأدب .يرى علماء الاجتماع أن مفهوم الهوية متعدد الهوية ويمكن مقارنته من عدة زوايا فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس و تصورهم لأنفسهم و لما يعتقدون أنه مهم في حياتهم¹.

أما عند جمهور الفلاسفة فهي مشتقة من هو SOI ما يقابل الأنا و يطلق على الغير وليس بيسر دائما أن يضع الإنسان نفسه موضع غيره تماما هو هو EDENTIQUE.

يقول ابن رشد في كتابه " تلخيص ما بعد الطبيعة" : "إن الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على اسم الموجود وهي مشتقة من هو كما تشتق الإنسانية من الإنسان"² . ويقول أمين معلوف حول مفهوم الهوية:"لقد علمتني حياة الكتابة أن أرتاب من الكلمات، فأكثرها شفافية غالبا ما يكون أكثرها خيانة، وإحدى هذه الكلمات المضللة هي كلمة "هوية" تحديدا، فنحن جميعا نعتقد أننا ندرك دلالتها ونستمر في الوثوق بها وإن راحت تعني نقيضها بصورة خبيثة"³.

وإذا توجهنا شطر التعريف الأدبي "للهوية" الفيناه على النحو التالي:

أديبا: سمات مميزة للكاتب، أو الفنان، تبرز في نتاجه، وتشيع فيه لونا معيناً هو في واقعه، محصل للمران الطويل، و للموهبة المثقفة وقد تكون الهوية أيضا مجموع الخصائص العينية المميزة لأثر في أو لمجموعة من الآثار"⁴.

خصائص الهوية:

¹ أنتوني وكارين بيردس، علم الاجتماع، ترفايزالصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت2005، ص90.

² ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس، تحقيق عثمان أمين، مصر، القاهرة1958، ص11.

³ أمين معلوف،الهويات القائلة، تر:نحلة بيضون، دار الفرابي للطباعة والنشر،لبنان،بيروت،2004،ص17.

⁴ المعجم الأدبي جبور عبد النور، دار العالم للملابس، ط1، 1979، ط1984، ص215.

أ. **الخصائص الثقافية للهوية:** "من بين الخصائص الثقافية للهوية: العقائد، والأديان، والرموز الثقافية، ونظام القيم الثقافية، والفن، والأدب بكل أنواعه، وأشكال التعبير، والخصائص النفسية المختلفة.

ب. **الخصائص الاجتماعية للهوية:** تتمثل الخصائص الاجتماعية للهوية في مجموعة من القيم الاجتماعية كالكفاءة النوعية، والقدرة، والمركز، والعمر، والجنس، والمهنة، والسلطة، والواجبات، والأدوار الاجتماعية، والقدرات الخاصة، والمستقبل، ونمط السلوك.

عندما يريد فرد أو جماعة ما أن يعرفوا أنفسهم، أو الجماعة التي ينتسبون إليها، أو أن يعرفوا شخصا آخر يجب أن يختاروا بعض السمات والعناصر الموجودة في الفئات السابقة وأخذها بعين الاعتبار.

ت. **الخصائص اللغوية للهوية:** تتعدى علاقة اللغة بالهوية كونها أداة تواصل بين أفراد المجتمع بل هي تعتبر رمزاً من رموز المجتمع وأداة توحيد والمحافظة عليه وهو ما يوضحه "رمزي بعلبكي" قائلاً: "أن اللغة منظورا إليها من زاوية الهوية ليست مجرد أداة تواصلية محايدة؛ بل هي كائن إيجابي وفاعل في إعادة إنتاج ذات الهوية وتطويرها، وأعلى. العكس من ذلك تدهورها وتحللها إضافة إلى أنه أحد أركانها أنحائها الكبرى"¹. كما يمكن للغة أن تكون سببا في انقسام المجتمع أو الوطن إذا تعددت لغاته و رفض التخلي عنها من أجل لغة واحدة توحد الجميع.

ومن بين الخصائص اللغوية نذكر:

أولاً: المواقف اللغوية: تدل مواقف إحصاء الجماعة إتجاه لغة الهوية على قوة وضعف الهوية اللغوية في المجتمع، فإذا كانت مواقف كل الأفراد إيجابية مثل حب اللغة و الإفتخار بها دل ذلك على قوة الهوية اللغوية في هذا المجتمع²، أما إذا كانت مواقفهم إتجاه لغتهم سلبية كالحجل حين استعمالها دل ذلك على ضعف الهوية اللغوية لدى أفراد المجتمع.

¹ رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، بيروت المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2013. ص 249.

² عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، ص 29، 292.

ثانياً: الاستعمال: يعتبر استعمال أعضاء الجماعة للغة الهوية في تواصلهم شكلاً من أشكال التعبير عن الهوية اللغوية وفي ذلك يقول: "رالف فاسولد (RALPH FASOLD)" من المرجح القول إن الخيارات اللغوية لأناس خاصة تلك الغير مراقبة ترمز إلى إحساسهم بهوية المجموعة الاجتماعية الثقافية، وقادت هذه الحقيقة إلى مفهوم "تخطيط الهوية" أن الخطوات المتخذت عن إدراك للتأثير على الهوية الذاتية لشخص ما تبدو على الأقل صعبة كصعوبة الخطوات المتعلقة بتخطيط اللغة مباشرة"¹.

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن استعمال أفراد الجماعة للغة الهوية يدل على قوتها فإذا انحسر إستعمالها في المجالات اليومية فقط (كالبيت والشارع) دل ذلك على ضعفها، أما إذا طال استعمالها كل مجالات الحياة كالتدريس والإدارة والإقتصاد دل ذلك على قوتها.

ثالثاً: الإكتساب: يدل حرص الجماعة على تعلم لغة الهوية وإتقانها للأبناء على قوة الهوية اللغوية لديهم، وعلى العكس من ذلك فإن عدم إهتمام أفراد الجماعة بإمتلاك الكفاءة اللغوية في لغة الهوية وعدم حرصهم على تعليمها لأبناءهم يدل على ضعف الهوية اللغوية.

- هوية الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة بالفرنسية:

شكل الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة بلغة المستعمر محوراً هاماً في الأدب الجزائري الحديث و المعاصر، والتاريخ العالمي يزخر بأمثلة عديدة كتبوا بلغة غير لغتهم الأم إما طواعية أو مضطرين إلى ذلك، فقد عرفت ذلك بلدان آسيا وإفريقيا وإمريكا اللاتينية. كما أن هذه القضية ليست حكراً على الإستعمار الفرنسي وحده، بل وجدت آداب أخرى في المستعمرات الأوروبية وقد كتبت بالإنجليزية و الإسبانية و البرتغالية وحتى الهولندية، فإذا إشكال الهوية في الأدب وخاصة الرواية بصفة خاصة مطروحة أيضاً بالنسبة للأدب الآسيوي والإفريقي واللاتيني المكتوب باللغات الأوروبية قد تختلف من بلد إلى آخر حسب طبيعة الإستعمار فالجزائري لغته

¹ رالف فاسولد، علم اللغة الإجتماعي، تر ابراهيم بنصالح بن محمد الفلاي، دار الملك سعود للنشر، السعودية: الرياض 2000 ص465.

الأم هي اللغة العربية وذلك قبل الإستعمار الفرنسي، ولكن بعد إحتلالها زاحتها اللغة الفرنسية وذلك بالسياسة التي إتبعها الإستعمار الفرنسي في القضاء على اللغة العربية.

ومن هنا شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية طرحت إشكالية حول هويتها وانتمائها كما أثارت جدلاً كبيراً بين نخبة من النقاد والدارسين حول تصنيفها؛ أهى أدب جزائري أم فرنسي، أو أدب بلا هوية؟

الرأي الأول: أنه أدب بدون هوية:

هذه الطائفة ذهبت إلى القول بأن الكتاب الجزائريين الذين استعانوا بالحرف الفرنسي كانوا من الطبقة المثقفة ، وشغلوا وظائف هامة وباعتبار أنهم تخرجوا من المدرسة الفرنسية فلقد ساندوا مبدأ الإندماج ونادوا بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين ينزع الباحثون والنقاد إلى إضفاء صفة الخُضوع على كتاب هذه الحقبة، أي أنهم كانوا ضحية للإدارة الفرنسية ويبدو ظاهراً من خلال كتاباتهم أنهم تشبعوا بالثقافة الفرنسية بل ويشعرون بالإمتنان تجاه فرنسا ويكتبون لجزائر فرنسية تنعم بالسلام ومثالنا في ذلك رواية "بولنوار الجزائري الشاب" (jeunoalgerien bouelnouar) لصاحبها رابح زناقي الذي كتب أن " من حظ كل الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة هي المعلمة فمعها تمكن الجزائري أن يخطو خطوات عملاقة"¹.

ويحذو حذوه أيضاً شكري خوجة عندما يتسائل البطل مأمون قائلاً "تملك فرنسا حقوقا علي وأنا أشعر برغبة غامضة أن أقدم شيئا يفيدنا... وأنا العربي لي هدف. وهذا رائع أن أجدده هي فكرة الوطن التي بدأت تنفتح بداخلي"².

فهذه الروايات لم تتصد للواقع الإستعماري المرير الذي عايشه الشعب الجزائري إلا أنها رغم تسليطها الضوء على بعض الآثار السلبية التي انتشرت في المجتمع نتيجة الإحتكاك بالثقافة الأجنبية، منها الإدمان على الخمر ولعب القمار، الظاهرتان التي عالجتهما تباعا روايتي "زهراء

¹ جبور أم الخير الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية ،ميم للنشر،الجزائر ظ1،2013،ص37.

² جبور أم الخير المرجع السابق ص 38.

إمرة المنجمي (zahrailafemmedumneu) ورواية "مامون بدايات مثل أعلى (Maamoanlehauche dusideal).

إضافة إلى أن هناك من الأدباء الذين ساندوا فكرة الاندماج والتعايش بين الأهالي الأوروبيين منهم مولو فرعون من خلال روايته ابن الفقير التي كانت أقرب إلى السيرة الذاتية من خلال تصوير واقع الإنسان في بلاد القبائل وكيف يمكن لحياته أن تتغير بالإحتكاك بالأوروبيين إما بالهجرة إلى فرنسا أو الإختلاط بهم في المعاهد ودور العلم.

فهؤلاء الكتاب لم يتمكنوا من إرضاء جمهورهم الفرنسي، ولاحتى الجزائري (...) مما جعل هؤلاء الكتاب يشعرون أنهم يقعون على الهامش في الضفة الأخرى بين المجتمع الفرنسي، وكذا الجزائري.¹

لذلك يعتبرونه أدبا بلا هوية لأنه لم يأخذ من الفرنسية سوى اللغة التي كتب بها فكيف يستطيع أن ينقل للمتلقي الفرنسي مشاعره وأفكاره مع اختلاف الثقافتين، وكما أن الأديب لا يمكن أن يوصل أفكاره إلى أهل بلده لأنه يعبر عنها بلغة الغير، ولأنهم يجهلون هذه اللغة بسبب الجهل السائد آنذاك، وفي هذا الصدد يمكن أن نشير إلى ما جاءت به الدكتورة " أم الخير جبور " في حديثها عن الأدب المكتوب باللغة الفرنسية و "... كائن مميز يجمع بين الشكل الفرنسي والمضمون الجزائري، إذ لا يمكن أن ننفي عن هذا الأدب جزائريته بالنظر إلى التصاقه بالواقع الجزائري وبالثورة الوطنية العظمى"².

الرأي الثاني: أنه أدب فرنسي:

لقد حاول بعض النقاد والباحثين إلحاق الأدباء و الروائيين الجزائريين بالأدب الفرنسي بحجة أن قبل سنة 1962م كان القانون الفرنسي يلحق الجزائر بفرنسا ويعتبرها إمتداداً جغرافياً لها، وأي إنتاج أدبي فيها ينضوي تحت مظلة الأدب الفرنسي، والجهود التي قام بها الأدباء المعمرون في معالجة العادات والتقاليد الجزائرية وواقع المعمرين وفرض التعايش.

¹ أم الخير جبر، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص45.

² واسيني الأعرج، إتجاهات الرواية الجزائرية ، بحث الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري1986.ص68.

ولم يتوقف المعمرون عند هذا الحد بل أسسوا توجهاً أدبياً جديداً سموه بالمدرسة الجزائرية، ومن المنضمون تحت لواءها (البيركامي) في روايته "الغريب"، والتي جرت أحداثها في مدينة وهران لكنه لم يهتم بالكشف عن الواقع المرير الذي عاشته الجزائر رغم أنه ولد بالجزائر لكنه من الموالين للسياسة الفرنسية، وأنه عاش في الجزائر متشبعاً بالثقافة الفرنسية والفكر الغربي، لم يفهم قط رؤية الشعب الجزائري ولا شعر بمعاناته و مسؤوليته إتجاه قضايا وطنه ولم يعرف معنى إزدواجية اللغة و هذا ما وضحه "عبد الله الركيبي" في قوله "الفرق يتمثل في الرؤية؛ فرؤية الكتاب الفرنسيين تختلف تماماً عن رؤية الكتاب الجزائريين سوى اللسان الفرنسي"¹.

و يرى فانون بأن هذا الأدب بالرغم من أنه أرفع مستوى من الأدب الجزائري غير أنه لا يمثل أدبا قومياً حقيقياً، و يظهر ذلك في قوله: "إن هذا الأدب أرفع مستوى من الأدب الجزائري المكتوب بالعربية، غير أنه لم يكن أدب للمقاومة بكل معاني الكلمة"².

أما عبد المالك مرتاض فيرى بأن هذا الأدب غيب في نفسه ومنفي من بلده الذي كتب فيه لا يمكن مطلقاً اعتباره جزائرياً خالصاً، حيث أنه لم تكن له فعالية كبيرة في تنوير القلوب، وكذلك إذكاء نار الثورة مثل ما فعل الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية، فيقول "... إن رأيي في هذا الأدب سيء جداً، وقد أكون مخطئاً فيما أرى، وقد أكون قاسياً فيما أحكم أن هذا الأدب غريب في نفسه، ومنفي من وطنه الذي كتب فيه، ولم يستطع أن يلعب دوراً خطيراً في إذكاء نار الثورة..."³.

وما يؤكد هذا الرأي هو المستوى التعليمي للجزائريين في تلك الفترة، حيث كانت أغلبية الساحقة أمية لا تجيد القراءة و الكتابة فكيف لها أن تتقن لغة أجنبية ألا و هي اللغة الفرنسية، و من هنا نستنتج أن الأدباء الجزائريين كانوا يكتبون للمتلقى الفرنسي وليس للجزائري و ليت ذلك كان للمطالبة بحقهم في الحرية و العدالة بل كل ذلك بحثاً عن نيل اعجاب الفرنسيين.

الرأي الثالث: أنه أدب قومي:

¹ عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، تونس، 2009، ص211

² نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر، ص205.

³ عبد المالك مرتاض، نفضة الأدب العربي في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط1971ص2120.

لم تؤثر الكتابة الأدبية و الروائية بشكل خاص في الكتاب الجزائريين الذين اختاروا الكتابة باللغة الفرنسية أو حتى الذين فرضت عليهم، ولكنها بسطت سلطتها على متلقيهم، فحركت الفكر وإستدعت أعماله لفهم مجريات الأحداث .

لقد كانت هذه الكتابات موجهة حقيقة للاستعمار و ثورة على شرائعه و قوانينه، فلقد استعان الكتاب بحبرهم و استغاضوا عن السلاح به يقول مولود معمري في نفس السياق: "إنني على ثقة أكيدة بأن المناضل هو الذي يطلق النار على الآخرين و في الإمكان أن تطلق العيارات النارية بواسطة القلم هذا حال الكاتب"¹.

وعليه فليس من الإنصاف إعتبار الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدباً فرنسياً لأن " أدباء الجزائر استخدموا اللغة الفرنسية كسلاح لمواجهة الإستعمار"². الذي لا يفهم سواها لإيصال القضية الجزائرية إلى العالم.

وهذا ما قاله "كاتب ياسين": "...من يقاتل لا يسأل نفسه ليعرف أكانت البندقية التي يستعملها فرنسية أم ألمانية أم تشيكية، و إنما بندقية و هي سلاحه و هي لا تخدم إلا معركته (...). إن الفرنسية ليست سوى أداة لتوصيل أفكارنا إلى المثقفين في العالم لنجذب به المفكرين الأحرار لنصرة قضية الجزائر العربية."³.

وهكذا استطاع الروائي الجزائري أن ينظر للمتن الروائي المكتوب باللغة الفرنسية هوية وطنية و محلية و دافع عن قيمة الجزائر الإسلامية العربية و تناول هذا الناقد الفرنسي(كلوماني): " في كون الأدب يعيش عصر القصة الإمريكية، باعتبار الظروف التي أفرزت أدباً قومياً في إمريكا.

و الذي كان محل اعتراف هي الظروف نفسها التي يمر بها أدب شمال إفريقيا المكتوب باللغة الفرنسية كما أنه يحمل الشخصية والروح الوطنية في دفاع هؤلاء الكتاب عن ماض و تقاليد جزائرية"⁴. وهذا تأكيد على عروبة الرواية الجزائرية.

¹ أديب عايدة بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 137

² -عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1991، ص 157.

³ -عبد العزيز شرف المرجع السابق، ص 157.

⁴ -عبد الله الركبي قصة الجزائرية القصيرة، م، و، ك الجزائر، ط 1، 1983 ص 249.

كما أن الروائي الجزائري كتب باللغة الفرنسية التي فرضت عليه وكان لزاماً أن يستعيرها لظروف يعلمها الفرنسي قبل غيره، ولأن اللغة هي إحدى مكونات الهوية وهي لغة إستعملها الأديب الجزائري لتعريفه جرائم الإستعمار، ومن زاوية أخرى فأدب المقاومة لا يكمن في اللغة، و لكن في مضمون وشكل وبناء المتن الروائي، وهذه اللغة التي وظفها الروائي الجزائري ليست حكراً خاصاً بل هي كما يقول: الروائي (مراد بربون) " اللغة الفرنسية ليست ملكاً للفرنسيين و ليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة وذلك لأن أي لغة يمكن أن تكون ملكاً لمن يسيطر عليها و يطوعها للإبداع الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية أو الوطنية"¹.

وخلاصة القول أن الأدب المكتوب باللغة الفرنسية أدب جزائري المضمون لأنه يجسد الواقع المأساوي للبلاد بكل صدق ومصداقية ولم يتهاون في رسم صورة الإرهاب الإستعماري ولا يجب انتقاد أصحابه على اللغة التي استعملوها، هؤلاء الأدباء الذين أستشهدوا في حياتهم، لم يكونوا ألا مصورين في أدبهم عن إحساس وشعور وطني نبيل.

¹ - جابر عصفور ، الرواية واللغة والهوية، جريدة الأهرام، ع47046، سبتمبر، 2015.

الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية في يوميات بلاد القبائل.

- تمهيد
- المبحث الأول: الأبعاد الاجتماعية المادية
- المبحث الثاني: الأبعاد الاجتماعية اللامادية

الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية في يوميات بلاد القبائل

تمهيد:

تعتبر الكتابات الأدبية من أهم الأمور التي تكشف الحقائق الغامضة، والأسرار الخفية التي تنطوي عليها الحياة البشرية، ذلك أن القلم لصيق الإنسان ولا يمكنه أن يتجاوز تلك اللحظات العابرة دون أن يدون الوقائع، أو يقف عند الأحداث التي تصنع مشوار حياته أو ما يدور حوله. ولاشك أن الجانب الاجتماعي له الحظوة العظمى إذ لا غنية للإنسان عن غيره. فهو محتاج لا محالة لبني جنسه احتياجه للطعام والشراب والهواء الذي يتنفسه. فالعلاقة بين الأدب والحياة الاجتماعية قديمة قدم الكتابة، وهل يستقي الأديب موضوعاته إلا من الأحداث التي تدور في ساحته. بل إن تطور الأدب إنما هو وليد التطورات والتغيرات الاجتماعية، يحكي المعاناة ويستشرف التطلعات.

وقد خاضت الأجناس الأدبية بمختلف أنواعها مشارب المجتمع البشري وحللت مكانه وغاصت في بحر لجهه فكانت خير معبر عما يسترعي اهتماماته ويقف عند الحل لمعضلاته وعلاج أدوائه. فكم هي التيارات الأدبية التي كانت سببا في تغيير وجه العالم. وتعد دراسات مدام دوستايل من البدايات الأولى التي تناولت الجانب السوسيولوجي في الأدب ولكنها اقتصرت على تأثير الدين و العادات والتقاليد فكانت من أهم الدراسات التي تناولت الجانب الاجتماعي¹، وإن كانت لا تزال قاصرة لعدم إلمامها وشمولها. لتبرز بعد ذلك توجهات ساهمت في تطوير النظرية كالتوجه الماركسي الذي يرى بأن الأدب تعبير عن محصل عوامل اقتصادية "رأس المال، العمل، الإنتاج" فالواقع الاجتماعي هو الذي يحدد وعي الناس وقالوا بأن المجتمع مقسم إلى طبقات لها وعي يحدده الجانب المادي فتتصارع الطبقات فيكون التطور. يقول روني ويليك "دراسة الأساس الاقتصادي للأدب والوضع الاجتماعي للكاتب لا ينفصل عن الجمهور الذي يخاطبه ولا يتطلب من الكاتب التمجيد الشخصي فحسب بل الانسجام مع مواصفات طبقته"² ثم ظهر مفهوم المرأة والانعكاس. والانعكاس هو بحث الدارس عن انعكاس الحياة الواقعية في ثنايا النص و"النين" هو الذي اصطلح المرأة وعبر بالمرأة الميتة عندما

¹ - ينظر، صالحه عباسي، سوسيولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر، مذكرة ماجستير، ص7

² - إبراهيم السعافين، خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث: ط1، القاهرة مصر، 2010، ص102.

يكون الانعكاس آليا "يعيننا ويفتح أعيننا على قراءة حياتنا وعلاقاتنا بالعالم من حولنا"¹ وأما المرأة الحية فهو الانعكاس الذي يقوم فيه الأديب موقفه من الواقع، فيكون ناقدا لا ناقلا يقول لينين "إننا لا نستطيع أن نصف كاتباً بأنه مرآة للواقع إذا هو لم يعكسه بصورة صادقة"² وبعدها ظهرت البنيوية التكوينية بزعامة لوكاش وغولدمان ويرى "أن الأدب في جوهره هو معرفة بالواقع ناتجة عن رؤية وتحليل وليس انعكاسا سطحيا لمظاهر الواقع"³.

ولعل من الأنواع الأدبية التي تستوعب قضايا الناس بشكل عميق ولها القدرة على تناول الموضوعات بمختلف أنواعها فن الرواية. ذلك لتقاطع هذا الفن مع عدة فنون أخرى، ولتطوره عبر العصور خاصة مع العصور التي شهدت معها البشرية تطورا هائلا وسريعا في شتى المجالات. فكانت الرحب الفسيح الواسع الذي وجد فيه الأدباء ضالتهم. والجزائر من بين الدول العربية التي حظيت فيها الدراسات الأدبية الاجتماعية بالنصيب الأوفر. فبرز على الساحة كتاب وضعوا بصمتهم في هذا الجانب باللغتين العربية والفرنسية كالطاهر وطار، وبن هدوقة، وبعده مولود فرعون الكاتب الجزائري باللغة الفرنسية أحد الذين تناولوا في كتاباتهم قسما وافرا يعالجون فيه الجوانب الاجتماعية ويكشفون الحقائق ويسلطون الضوء على الواقع.

وهذه المدونة المعنونة ب"يوميات بلاد القبائل" التي نتناولها بالدراسة أحد مؤلفاته الجميلة التي عبرت عن واقع القرى القبائلية والتي جمع فيها مولود فرعون بين الأدب والاثنوغرافيا⁴. مؤكدا بذلك ما للأدب من علاقة وطيدة بالبيئة الاجتماعية، وما للأدب من القدرة على بسط الحقائق والوقوف على الواقع المعاش. كل ذلك في قالب من جمال العبارة وروعة التعبير الذي ينقل الصورة النابضة بالحياة، ويستلهم منها القارئ روح الحب للموطن وعزة الإنتماء للأصل. ونكهة العيش بين العائلة الصغيرة والكبيرة .

¹ - بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد، ط1، الوفاء الاسكندرية 2006، ص69.

² - جورج لوكاش، نظرية الرواية وتطورها، ترجمة نزيه الشوقي، ط1، دمشق 1987، ص64.

³ - عمر غيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردية، منشورات اتحاد تاج العرب، دمشق 2008، ص238.

⁴ - الاثنوغرافيا: علم اجتماعي يصف أحوال الشعوب ويدرس أنماط حياتهم ومختلف المظاهر المادية لنشاطهم في مؤسساتهم وتقاليدهم وعاداتهم كالمأكل والمشرب والملبس وغيرها.

01- تقديم الرواية:

مولود فرعون من مواليد 18 مارس 1913 بقرية تيزي هبيل بولاية تيزي وزو. درس الابتدائية في قرية تاوريرت¹. وكان على قدميه في فصل الشتاء القارص يقطع مسافة طويلة منتقلا من بيته إلى المدرسة، وفي هذه الظروف الشديدة وضيق في المعيشة استطاع أن يجابه الحياة، ويفوز بالمسابقة بالدخول إلى مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة، أين تخرج منها ليعود إلى قريته تيزي هبيل التي عين فيها مدرسا سنة 1935.

أنجب سبعا من الولد بعد أن تزوج من قريته. ثم التحق بعد ذلك بمدرسة قرية تاوريرت سنة 1946. وهي المدرسة التي استقبلته تلميذا قبل ذلك وعين سنة 1952 مديرا لمدرسة الناطور. تاركا منطقة القبائل، تحصل على جوائز عدة منها جائزة الرواية الشعبية، يصفه إيمانويل روبلس بقوله " كان مثقفا كان يقرأ أكثر منا جميعا، وكان يلتهم الكتب ببساطة، كان يضم الإجلال للكتاب الروس ويحب فرنسيي القرن الثامن عشر، بعد ذلك كشفت له الأمريكيين².

وعلى يدي العصابات الدموية للمنظمة السرية الإرهائية الفرنسية OAS بالقرب من شاطو الروايال بين عكنون بالجزائر العاصمة رفقة خمسة مفتشين في التعليم جزائريين اثنين وفرنسيين؛ اغتيل في يوم 15 مارس 1962. لماذا لأنه كان يمثل استفزازا لهم في كتاباته التي تحمل معاني الحرية³. ويعد مولود فرعون أحد الكتاب الذين فتحوا أبواب العالمية للأدب في شمال إفريقيا. حيث نقل إلى مشاهد العالم معاناة الشعب وآماله وآلامه. على غرار زملائه مولود معمري، محمد ديب، كاتب ياسين⁴. وهو صاحب المقولة " اكتب بالفرنسية لكي أقول للفرنسيين بأني لست فرنسي".

خلف أثارا عدة منها رواية "الأرض والدم". "ابن الفقير". "الدروب الوعرة". و"يوميات بلاد القبائل" التي سنتناولها بالدراسة في هذا الفصل التطبيقي .

¹ - نوال بن صالح، استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون، مجلة المخبر عدد التاسع، 2013، ص 396.

² - حفناوي بعلي، اثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ، ص 163.

³ - نوال بن صالح، استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون ، مجلة المخبر، ص 396.

⁴ - المرجع نفسه، ص 396.

طبعت هذه الأخيرة سنة 1954. وهي كتابة فريدة، من كاتب نبغ في طرح فريد، استطاع من خلاله أن يبسط لنا تلك المعالم المتميزة لمجتمعه، بأسلوب يضاهاى به عمالقة الكتابة في مجاله. والرواية عبارة عن مجموعة من القصص السردية مقسمة إلى أحد عشر جزءاً، كل جزء يحمل عنواناً خاصاً، تكاد تتناسب الأجزاء في عدد الصفحات وقد عنون بداية هذه اليوميات بـ "قريتي". دلالة على نسبتها إليه، وأنه يحكي أياما عايشها وراها رأي العين. والعنوان الأول يناسب ما بعده من العناوين، إذ أن ما تناوله من بعده من العناوين إنما يدور في القرية وما حولها. فتكلم عما تحويه قريته من الأماكن ذات القيمة الاجتماعية والاقتصادية والجمالية، وما تمثله لدى الأفراد من المرتبة العالية والحاجة الماسة إليها. (كتاجماعت) مقر الاجتماعات والاستشارات. والسوق الذي تتبادل فيه الأفراد مقتضيات عيشتهم وتزاحمهم حول لقمة العيش، أو المنهل العذب الذي هو مصدر حياتهم حيث الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، وحيث جمال الطبيعة والمنظر الذي يأخذ بالألباب أو الحقول التي يستقبلها الناس في الفصول الزاهرة استقبال الغائب من بعيد.

وتكلم عن الشخصيات التي لها الحظوة في معتقد الناس وهي تمثل الطابوهات التي لا يمكن تجاوزها واختراق جدرانها. كالمرابط ابن الشريف الذي يمثل السلطة الدينية والمرجعية التي لا يعلوها أحد، وأن لها من القداسة والكمال والقدرة على التأثير ما لا يتأتى لغيرها، وعن الشخصيات التي لها مكانتها المعتبرة من حيث قيامها بالمهام الجليلة كالراعيات والعجائز اللاتي يجمعن الحطب من أجل الدفء والطعام، وذاك المعلم الذي يساهم في بعث روح العلم والتغيير نحو الأفضل والذي يجابه تلك الرواسب التي علققت بالأذهان، ويعاني مرارة ما يشاهده من ظلمة الجهل الذي خلفه الاستعمار ومعتقد الناس الفاسد. ختم به مجموعته تيمنا به أن يكون سببا في الحفاظ على الهوية، وفي نفس الوقت حامل لواء التجديد والتأثير نحو الأفضل.

02- الأبعاد الاجتماعية المادية:

قبل أن نتطرق لهذه الأبعاد لابد أن نقف على معنى هذا المركب لغة واصطلاحا حتى نقرب الفهم للقارئ ويكون على بينة من الأمر.

- مفهوم الأبعاد الاجتماعية المادية :

- مفهوم البعد:

لغة: هو مفرد جمعه أبعاد ويقال انه لذو بعدة أي لذو رأي وحزم، يقال ذلك للرجل إذا كان نافذ الرأي ذا غور وذا رأي¹ . ولا ذو بعد وبعدة : أي رأي وحزم وبيننا بعدة بالضم من الأرض ومن القرابة² . بعد جمع أبعاد مسالة أهمية مظاهر عملية . بعد النظر عمق تفكير. والجمع أبعاد والأبعاد امتدادات تقاس بها الأشكال والمجسمات ومنه أبعد في الأمر أمعن فيه³ والتباعد الاجتماعي الدرجات المتفاوتة للبعد أو الانفصال والقرب أو التحرك الاجتماعي.

اصطلاحاً: في اصطلاح الرياضيين والفيزيائيين يطلق على أبعاد الأشكال والمجسمات، الطول العرض و الارتفاع. وهو في الأدب لا يخرج عن المعنى اللغوي فالأبعاد بمعنى تلك المقاصد التي يرمي من خلالها الأدب للوصول إلى بغيته من الكتابة وتتنوع بتنوع الأنواع الأدبية والمواضيع المتناولة.

- مفهوم الاجتماع لغة: أصله اجتمع ضد تفرق كاجتمع وتجمع واستجمع السيل اجتمع من كل موضع وتجمعوا واجتمعوا من هاهنا وهاهنا.⁴ وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه واجمه فاجتمع واجتمع وهي مضارعه وكذلك تجمع واستجمع والمجموع الذي جمع من هاهنا وهاهنا واستجمع السيل اجتمع من كل موضع وتجمع القوم اجتمعوا⁵.

وفي اللفظة معنى تلاقي الناس في مكان ما حول فكرة ما بأسلوب ما، نقول إنسان اجتماعي بطبعه أي له فطرة تميل إلى معايشة الناس والاختلاط بهم. و قبل أن نتطرق للمعنى في الاصطلاح سنقف على معنى كلمة المجتمع لنقرب المفهوم.

¹ - بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ت عبد الله علي الكبير، مُجَّد احمد حسب الله ، هشام مُجَّد الشاذلي، مج 1، ص310

² - مجد الدين بن يعقوب الفيروزا بادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة ، تح انس مُجَّد الشامي وزكرياء جابر احمد ، ط 2008، ص 142

³ - احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، 2008 القاهرة، عالم الكتاب

⁴ - الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص294

⁵ - بن منظور، لسان العرب، مج1، ص678

فالمجتمع هو مجموعة من الناس يرتبطون معا في العادات والتقاليد والأحكام الأخلاقية ويحترمون بعضهم البعض ويشكلون في الحي والقرية والمدينة التي يعيشون فيها جزءا من أجزاء الحياة الاجتماعية. ويتكون من أفراد ومؤسسات وبيئة ومن خصائصه التكيف الاستقلالية والتعايش.

اصطلاحا: كلمة الاجتماعية تشير إلى وجود تناسب وتناسق وانسجام بين الكائنات سواء كانوا بشرا أو غيرهم، كما توحى بوجود الأخذ والعطاء والتفاعل والتعامل بينها، ولا يشترط أن يكونوا مدركين لهذا الأمر، وغالبا ما يستخدم هذا المصطلح مضافا لعدة معاني أخرى كثيرة ومتنوعة، فمثلا نقول العدالة الاجتماعية، التنمية الاجتماعية، الوظيفة الاجتماعية، الأبعاد الاجتماعية .

- مفهوم المادية لغة: جمعه ماديات، والشيء مادي، ومادة الشيء ما يمدد دخلت فيه الهاء لمبالغة، ويقال دع في الضرع مادة اللبن، فالمتروك في الضرع هو الداعية وما اجتمع إليه فهو المادة¹. المادة الزيادة المتصلة². ومواد الشيء أجزاءه المكونة له ، والشيء المادي عكس المعنوي فكل ماله مادة له جسم معين ملموس ومحسوس .

اصطلاحا: يقول نبيل صالح: "المعنى المصطلح عليه الصحيح أن كلمة المادية هو كل ما اتفق عليه المفكرون والعلماء من آراء و أطروحات تخص هذا المعنى "معنى المادة " من أجل بناء معايير فكرية عقلية مشتقة منها والمعنى الإصلاحي للمادة هو تلك النظرة الحسية للعالم بما فيه من مكونات ومخلوقات وموجودات، أو الطريقة في فهم ظواهر هذه الحياة الطبيعية المتنوعة الهائلة القائمة و إدراكها اعتمادا على مبادئ محدودة مضبوطة علميا وموضوعيا وكذلك هي الطريقة لفهم كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية والنتائج العملية للفرد البشري في سياق تفاعله مع الحياة والمحيط"³. المادية مذهب فلسفي يسلم بوجود المادة وحدها و بها يفسر الكون والمعرفة والسلوك⁴. كلمة تطلق مضافة لعدة معاني مختلفة هناك مثلا المادية الجدلية وهي " فلسفة يعتقد أصحابها أولوية المادة عكس المثاليون، وهناك المادية التاريخية

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، مج 5، ص 4156،4157.

² - أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث القاهرة، ط2009، ص1068.

³ - نبيل صالح، المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1،

1439،2018، ص13

⁴ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان، 1982، ص267،268.

وهي المقاربة المنهجية للتاريخ الماركسي الذي يركز على المجتمعات البشرية وتطورها مع مرور الوقت، أي الفهم المادي للتاريخ تتسم بطابع فلسفي¹. والمادية المقصود بها الأشياء الملموسة في المجتمع كأدوات وآلات المستعملة في الحرف والعمل والأماكن كالمباني والآثار. ومنها التراث المادي.

من خلال التعاريف السابقة يمكن أن نقول أن الأبعاد الاجتماعية المادية هي تلك المقاصد الملموسة المدركة بالحواس الخمسة للإنسان السمع البصر الشم اللمس الذوق في المجتمعات البشرية المكونة لهياكل الحياة الداعمة للوجود والمعبرة عن الكيان والتي يمكننا أن نقول عنها انه لا وجود لمجتمع على وجه البسيطة إلا بتلك الأبعاد وهي تعكس لنا واقع العيش ومن خلالها يمكن الوقوف على السمات المميزة لمجتمع عن غيره وهي بذاتها حديث عن الهوية والأدب لا ينفك عن استثمار ما هو ملموس ومادي في التعبير عن جماليات الواقع، ويكشف لنا تلك الصور الحية الناطقة التي يبرز من خلالها الأصالة الضاربة في القدم والتي تحكي قصة الحياة، وهو في نفس الوقت يستشرف المستقبل ومتطلباته .

03- أنواع الأبعاد الاجتماعية المادية: تتنوع الأبعاد الاجتماعية المادية إلى عدة أنواع من أبرز هذه الأبعاد ما يختص بالمكان والشخصيات والحرف والمهن وقد حفلت الرواية بها فنجد:

أ- البعد المكاني:

لقد قلب مولود فرعون بصره النافذ في القرى القبائلية ليرسم لنا تلك الصورة التي يسري فيها روح الحياة . وهي تتكلم بصمت، ويبدأ بالوصف العام للهدوء التام للقرية وكأنه يحمل قلما يرسم لنا به أبعاد القرية في أزقتها الطويلة الضيقة، التي تحمل ركام الأوحال والغبار ما يلتصق بالمار بها ليحمل من الوهلة الأولى لدخولها صفة ملازمة لسكانها. "وجدت أزقتي ضيقة متسخة"². كأنه يقول بان القرى القبائلية تحتم على داخلها أن يكون جزءا منها ويندمج مع أهلها رغما عنه ليصير واحدا منها .

¹ - ترجمة إلياس شاهين ، مادية التاريخية ، كيلله كوفالسون ، المكتبة التقديمية ، ص15.

² - مولود فرعون ، يوميات بلاد القبائل ، ترجمة عبد الرزاق عبيد ، دار تلاتيقيت ، 2013، ص10.

ثم تقع عينه على بيوت في آخر الزقاق الطويل الذي يزداد ضيقا، مشبها إياها بأقفاص الطيور لما يحيط بها من القصب من كل جانب. " إنه هناك في نهاية حي بني فلان، في الزقاق الأطول والأشد ضيقا؛ هناك حيث تشبه الدور المسيجة بالخيزران الأقفاص"¹. وهكذا تطوف نظراته لتعبر ذاك المكان المعد للقمامة " اقودو" المزبلة التي يراها قد ازدادت حجما عن سابق عهدها. "يمكنك أن تحتلس النظر إلى اقودو مزبلي، وستعابن بنفسك بأنها قد تضخمت شيئا ما"². ويلاحظ بمروره كيف جددت بعض الأماكن مواكبة حركة الحضارة كالطرق التي عبت. "لاحظت جيدا بأنك تتحضرين هذه الطريق المؤدية إلى المقبرة قد تعصرت"³. بل وهناك ما جد مما لم يكن من قبل كالمراب ومعصرة الزيت والرحى والمخبرة. "هاهو ذا مرآب لم يكن موجودا أثناء زيارتي في العام المنصرم وبجانبه معصرة زيت ورحى يشبه ضجيجها محرك طفطافة وحدثوني أيضا عن مخبزة بمعجنة ميكانيكية"⁴.

أ-01- الأماكن المخصصة للرجال:

وينتقل بعد ذلك من أماكن عادية إلى أماكن أكثر أهمية عند أهل القرى القبائلية لما لها من التأثير في الحياة الاجتماعية، والدور الكبير في وحدة الصف، وحل المعضل من الأمور وهي ثاجماعت- والكلمة في حد ذاتها فيها ما يوحي بالاجتماع، ذلك المكان المخصص للرجال جميعا من أهل القرية دون استثناء ولا تمييز، مشاع بين الجميع، يعقدون فيه صنفقاتهم ويجرون فيه شؤونهم، ويفكون فيه معضلاتهم وما يواجهون من أمور مستجدة، هذا المقر قد يكون في مقدم القرية أو وسطها أو على قارعة الطريق. ويحوي على مقاعد تكتظ بالحاضرين أحيانا. "ثاجماعت مكان مخصص لجميع الرجال، إنها ملك عام لا حيازة فيه لأي أحد كما لا يهم من يلتقي فيها"⁵. ثم يحول نظره داخل ثاجماعت ليرى تلك الصخرة المعدة لشحذ المدى والمناجل ويري الأقلام. "يمكننا أن نشاهد أسفل المقعد العريض صخرة ضخمة من الحجر

¹ - المرجع نفسه، ص11

² - المرجع نفسه، ص11

³ - المرجع نفسه، ص12

⁴ - المرجع نفسه، ص 12، 13.

⁵ - المدونة، ص 17.

الرملي قد دفن نصفها في التراب"¹. هذه الصخرة من جملة ما لم يتغير من تجمعات. بقيت عالقة في الأذهان على الرغم مما تجدد فيها. "لكن الصخرة الحمراء لم تتزحج من مكانها، تم لقاءنا بسرعة"².

ثم يرتفع بعيونه الثاقبة عن تجمعات ليصير تلك القبة في المكان العالي المرتفع عن القرية ارتفاع ساكنيها عن جملة الناس شرفا وقدرًا وبركة العائلة العريقة. "وهاهي ماثلة أمامنا بقبتها البيضاء المنتصبة وصومعتها التي فوق الدور المنخفضة المتضائلة"³.

من جملة الأماكن التي تناولها مولود فرعون سوق تلاتا الذي يعكس لنا من خلاله جانبًا من الجوانب المهمة في حياة القرى القبائلية. ويحكى كسبهم للعيش وبحثهم عن القوت، وهو بذلك ينتقل إلى نطاق أوسع في عالم اجتماع الناس وما يسمى في مصطلح الآداب المعاصرة الفضاء الواسع، ليؤكد على حاجة الناس لبعضهم البعض فيصفه أولاً بالكبر والاتساع، "لأنه لا يكفي أن يقال بأنه كبير، ويتسع لكثير من الناس"⁴.

ويتدرج في وصفه من بين الصورة العالقة في ذهنه قديما وهذا ما يسمى في مصطلح السرد بالاسترجاع. والصورة التي أمام ناظره تبين كيف تتغير الأمور وتتطور، منها ما هو للأحسن ومنها ما هو للأسوأ، يقول عن السوق القديمة. "كان السوق يعقد في الزمن الماضي فوق هضبة مرتفعة، تحيط به أشجار البلوط العريقة التي تهيمن عليه بظلها، وترفع أغصانها مالا يحصى ولا يعد من الأشياء؛ من الأمعاء التي تطفح في المياه الخضراء وقطع اللحم الدامية، إلى عناقيد البصل ورفائف الحرير الملساء"⁵. ثم يحكي مدققا في الوصف. "لم يكن فيه من قبل سوى بناية واحدة من الطوب في جهة منها مكتب القائد حيث كان يأتيه... ومن الجهة الأخرى مكتب القاضي الذي يتردد عليه الربويون، والبراح العمومي والعجزة والأيتام، وماعدا ذلك فهي كلها قرابة من فروع الأشجار"⁶. ثم يصف الصورة التي تحول عليها، "وأما اليوم فقد

¹ - المدونة ، ص 19.

² - المدونة ، ص 20.

³ - المدونة ، ص 35.

⁴ - المدونة ، ص 78.

⁵ - المدونة ، ص 79.

⁶ - المدونة أ ص 79.

فقد أصبح طريقا مزفتا ينحدر من أعلى الهضبة، واستقر السوق في الطريق، طريق مستقيم تتزاحم على جانبيه بنايات بشرفات متلامسة في ما بينها، وبقيت القمة جاهزة وعليها بناية مهدمة وأربع أشجار من البلوط في حالة يرثى لها، وفيها نقيد البغال والحمير في حبل معدني غليظ يمتد من شجرة إلى أخرى كثعبان محنط.¹

وهناك أماكن أكثر جلبة وحركة تثير الناظر والسامع لما لهما من الوقع على النفس، "لا تلبث الأعين أن تبصر من أعلى الهضبة السوق التي في الأسفل، بقعة متحركة في إطار أخضر يلذ منظرها وسماعها لسعتها وحيويتها."² ويعيد لنا هندسة المكان في السوق مشبها إياها بثمرة البطيخ، "تتصور نصف طريق معبد ورصيف وذلكم الرصيف يحتديه جم من العمارات المصففة والمعدة جيدا بل وعالية أيضا ... ثم يضع الطريق ورصيفه ويمسي مسلكا في أعلى الساحة الكبرى على هيئة بطيخ"³.

أ-02- الأماكن المخصصة للنساء:

ينتقل مولود فرعون إلى الأماكن المخصصة للنساء، (المنهل العذب) وهذا ليعكس لنا حظوة النساء في القرى لقبائلية أن لهن دورهن في الحياة، " ليس للبنات تاجماعت مثل الرجال ولذلك فإن المنهل العذب يحل محلها"⁴، فيشكل المنهل العذب جانبا مهما من الحياة الاجتماعية للقرى القبائلية لأن الماء مصدر الحياة يقول الله تعالى في كتابه الكريم، "وجعلنا من الماء كل شيء حي"⁵، وهو متنفس للبنات اللاتي لا يجدن مكانا يجتمعن فيه، فيه يتعارفن ويتعرفن على ما يدور في القرية من الأحداث ويتجادبن أطراف الحديث ويعن بعضهن البعض، "يذهبن إليه زرافات، ويجتمعن فيه بحسب القرابة، فيتعرفن فيه على الأخبار، ويتبادلن فيه الإشاعات والأقاويل، ويمتن صداقات"⁶، وهو يشكل جزءا من أجزاء الحياة القبائلية، " أن

¹ - المدونة ، ص80.

² - المدونة ، ص82.

³ - المدونة ، ص83،84.

⁴ - المدونة ، ص111.

⁵ - سورة الأنبياء الآية 30.

⁶ - المدونة ، ص111.

المنبع يشكل جزءاً من حياتنا شأنه شأن ثاجماعت والحقل¹، ذلك لأن المنبع تجد فيه الفتيات الحرية من قيود الرجال وهذا ما يعكس لنا جانب من جوانب تحكم الرجل في المرأة في القرى القبائلية، وأن المرأة من الطبوهات التي لا يجب الرجال أن يطلع عليها، "حيث يكن متحركات من خشية الرجال وينسين فيه فترة همومهن وحيائهن وحزنهن الداخلي²"، وهذا يعكس لنا سلطة الدين والعادات والتقاليد وتحكمها في الحياة في هذه القرى، فالكاتب هنا كالمرأة العاكسة لواقع الحياة، وهذا ما يحيلنا على مصطلح المرأة وتقسيم لينين : المرأة الحية والميتة، فالحية ما كان الانعكاس فيها غير آلي يرويه الكاتب بصدق، يقول جورج لوكاش، "أنا لا نستطيع أن نصف كاتباً بأنه مرآة للواقع إذا هو لم يعكسه بصورة صادقة"³.

أ-03- الأماكن العامة: ويمكن أن نقسمها لنوعين حسب ما تطرق له الكاتب في روايته، أماكن ذات فضاء واسع، وأماكن ذات فضاء ضيق.

- الأماكن ذات الفضاء الواسع:

يستمر مولود فرعون في التنقل من مكان إلى مكان آخر أكثر اتساعاً وشمولاً وهي الحقول الواسعة، والتي هي مصدر من مصادر العيش، ويتنوع الحقل على حسب فصول السنة، فالربيع وما يجويه من الزهور و زرقه سمائه وزققة عصفيره ليس له من الحظوة الاجتماعية مع فصل الشتاء بوجود الثلوج والأمطار والرياح والبرد القارص، كما للخريف والصيف، "الربيع بخضرتة وزققة بلابله وخرير مياهه وزرقه سماء شهر أفريل، والطبيعة في عيدها كل ذلك لا دفيء فيه بالنسبة إليه"⁴ "يعاني معاناة شديدة في فصل الشتاء هناك الجوع والبرد القارص، المطر والثلج والعاصفة، تمتص ارغونات جرجرة الهواء القارص من البحر وتعزف به أصواتاً جنائزية"⁵، فالخريف بما تحويه الحقول لها الأثر البالغ على حياة الناس الاجتماعية، من الثمار الوافرة الناضجة، فالخريف هو الربيع الحقيقي بالنسبة للسكان واهتمامه به أشد من غيره من الفصول، "إن ربيعاً بدون شك هو فصل الخريف العناقيد الذهبية، وحببات التين العسلية؛ هي زهوره

¹ - المدونة ، ص111.

² - المدونة ، ص115.

³ - جورج لوكاش ، نظرية الرواية وتطورها ، ترجمة نزيه الشوقي ، ط 1، دمشق 1987، ص 64.

⁴ - المدونة ، ص121.

⁵ - المدونة ، ص121،122.

المتفتحة، وباقات عطره التي لا يكتفي بشمها. الصبح المنعش بأغاريد الدجلة والهزار، والأجمات الملتفة بأشجار الدردار والبلوط والكرز البري والعرائش المتسلقة للذرى الشم، والعبارة من شجرة إلى أخرى تاركة عناقيدها تتدلى فوق البرك الآمنة الشفافة، ذلك هو ربيع ابن أوى، والربيع الحقيقي للقبائل¹. أما الصيف فهو أيضا يمثل محطة اهتمام كبير للمجتمع بما يحوي فيه الحقل من السنابل الناضجة المستعدة للحصاد والفواكه والبقوليات، "إن الصيف ليس رديئا كثيرا. نحصد السنابل ونأكل. وهناك الفول، البازلاء كما أن هناك الكرز والبرقوق والإجاص"².

- الأماكن ذات الفضاء الضيق:

فينتقل إلى مكان أضيق في فضاءه، ولكنه واسع في قضاائه، إنه المدرسة التي عايشها بما تحمله من ذكريات عالقة في ذهنه، منها ما هو مجهز تجهيزا عصريا في مختلف مرافقه، ومنها ما هو مفتقر لأدنى المتطلبات لكن الكل يؤدي دوره، وإن كان هذا يعكس لنا رؤية الكاتب الصداقة وحبه للتعليم، وعلى الرغم مما يواجهه من معاناة اتجاه قابلية الناس له كمدرسة تابعة للمحتل ونظرهم إليهم كمبشرين، يقول مولود فرعون، "بعض بلاد القبائل تحصلت على مدارس ابتدائية بمجرد تطبيق القوانين المدرسية للجمهورية الثالثة، كان المعلمون الأوائل فيها بمثابة مبشرين"³. فهو يرى أن العلم هو سلاح المواجهة الحقيقية بغض النظر عن نتلقاه. فالجهل عدو الإنسان بأي صفة. تقول مدام دوستايل. "أن الأدب لم يعد فنا فقط ولكنه سلاح للمواجهة والمعرفة أيضا"⁴.

ب- الأبعاد في الشخصيات :

من أهم مكونات الرواية والتي تعكس مدى جودتها واستحقاقها لعلامة الإبداع شخصياتها التي تناولها الكاتب، وذلك من خلال أبعادها ومدى تحقيقها لتلك الأبعاد يقول جيلفورد، "أن كل سمة من سمات الشخصية تتضمن فروقا بين الأفراد، ويعني كل فرق من هذه الفروق اتجاهها،

¹ - المدونة ، ص122،123.

² - المدونة ، ص123.

³ - المدونة ، ص134.

⁴ - مقدمة في المناهج النقدية في التحليل الأدبي، ترجمة وائل بركات غسان السيد، مطبعة زيد بن ثابت، ص136.

وأمثلتها: اتجاه صفة الكسل أو بعيدا عنها ، اتجاه الاندفاع أو صوب الحرص ، اتجاه الدقة أو إزاء عدم الدقة وهكذا¹.

وهذه الرواية تناول فيها مولود فرعون البعد الاجتماعي للشخصية وكانت على قسمين شخصيات محورية وأخرى ثانوية.

ب-01- الشخصيات المحورية: وهي التي أدارت معظم الرواية وكانت بمثابة المنظار الذي ينظر للمجتمع ويراقب الأحداث ويحاول أن يغير ويؤثر بما يملكه من المقام والعلم والخبرة والتجربة.

- صاحب الرواية: واحد من القرية، والياء في أول العنوان في هذه الرواية تشعرنا بنسبة الإلتواء، هي عند أهل النحو ياء النسبة. يقول مولود فرعون، "تعلم قريتي بأني تغربت كثيرا وعشت بعيدا عنها أكثر"². ويعكس لنا من خلال وصف لباسه الذي يلبسه وما يحمله في يده أنه ميسور الحال ويرى نفسه مميزا عن غيره من أبناء القرية، ويحمل دلالة أنه قادم من مكان آخر، يقول مدققا في وصف شكله، " تأمل بذلتك الجميلة وحقيبتك أنت مميز"³، "... وما يكفي لتلطيف حذائك الملمع وحتى أسفل سروالك"⁴، وهو يشير إلى المنطقة التي هو من أصولها إنها منطقة ريفية لا تهتم هكذا بمظاهر، وأن هذا اللباس الذي يلبس لا يتناسب والمنطقة وهو يعطينا صورة عن الفرق الحضاري بين أوروبا القادم منها وبين القرى القبائلية. ومما يدخل في حقل الأبعاد الاجتماعية للشخصية، يقول علي أحمد باكثير "المحيط الذي نشأ فيه الشخص والطبقة التي ينتمي إليها والعمل الذي يزاوله ودرجة تعليمه وثقافته والدين الذي يعتقد والرحلات التي قام بها والهوايات التي يمارسها فان لكل ذلك أثرا في تكوينها"⁵. ونلمس من خلال شخصية الراوي مهنة التعليم تلك المهنة الشريفة.

¹ - احمد محمد عبد الخالق ، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ، ط4 ، ص 202.

² - المدونة ، ص7.

³ - المدونة ، ص9.

⁴ - المدونة ، ص12.

⁵ - علي احمد باكثير ، فن المسرحية من خلال تجارب الشخصية ، مكتبة مصر ، د.ط، ت، ص74.

- ابن الشريف: من الشخصيات المحورية (ابن الشريف) يصف لباسه فيقول: " بلباسه الأبيض المؤلف"¹، لهذا اللباس تأثيره الاجتماعي على الأفراد وقد أشار إلى ذلك في قوله، "... يخفف وطأة حزن أهل المتوفى كثيرا"²، ابن الشريف من أسرة كثيرة العدد ولكنها واحدة تلقب ب (المرابطون)، "لا توجد في القرية سوى أسرة واحدة من المرابطين. أسرة قوية وكثيرة العدد"³. من بين الأشياء المادية التي يملكونها رفاق قديمة فيها تاريخهم العريق وهي التي تحول لهم السلطة على غيرهم، "ويحتفظون في رفاقهم الجلدية بتاريخ القرية كلها"⁴، وهذا ما يدل على أن التاريخ له تأثيره في الحياة الاجتماعية القبائلية، ويشير إلى أن بعض الرفاق غير مفهومة الرموز، وربما ذلك يعود إلى كونها مكتوبة بغير اللغة القبائلية، ومن بين أعمال هذه الشخصية التي يقصدها الناس في القرى القبائلية استعمال الرقى والعقاقير خاصة لشفاء المرضى، واستجلاب الرزق، ودفع الضرر، "إنه عالم أمام العجائز اللواتي يأتين لزيارته ويستجدين وصفة، أو تركيبة طبية، أو تيممة"⁵، من صفات هذه الشخصية الخلقية أنه بشوش للناس جميعا، "و أما ما يتعلق بالحمية والبشاشة فلن نجد أحسن منه في القبيلة"⁶، وهذا يعكس لنا جانبا من معتقدات القرى القبائلية وهو تعلقهم بالعائلات التي ينتهي نسبها إلى رسول الله ﷺ. بدون أن يراعوا ما آل إليه أمرهم مع مر الزمان، وخروجهم عن المنهج القويم.

ب-02- الشخصيات الثانوية :

- الراعيات: هن فتيات، سنهن صغير يمارسن مهنة الرعي علاوة على جلب الماء من المنهل العذب وهن ألطف بالمعز وأحفظ عليهن من عدوهن، يتفاخرن بالضروع المملوءة، ويخترن لمعزهن ما يملأ تلك الضروع يقول مولود فرعون في شأن الراعيات، "البنات ألطف من الذكور تلك حقيقة قطعاً إنهن لسن جريئات ولكنهن دقيقات يعرفن أحسن الأماكن ... لأننا هنا من

¹ - المدونة ، ص39.

² - المدونة ، ص 39.

³ - المدونة ، ص35.

⁴ - المدونة ، ص35.

⁵ - المدونة ، ص40.

⁶ - المدونة ، ص40.

أجل ملء البطون وليس للتسلية"¹، "وهل يعلم الذئب أنه لا أمل في غفلة تلك الراعيات ؟ لا أمل مع البنات أبدا"². ثم يحدد حجم ما يفرغه الضرع من الحليب، "آه يا أخواتي إنها ثلاث لتزات، الله يبارك"³. ومن هنا نرى اهتمام المجتمع القبائلي بالرعي الذي يعد مصدر قوت أساسي للعيش لا يستغنى عنه.

- البائع: بائع القمح يصفه بالرجل الجبار، لكنه ذو وجه مبتسم، وخلق متواضع ذكي بحيث أنه يملك المهارة التي تخرجه من خصام لا جدوى منه، مما يعكس لنا أخلاق التجار القبائليين وذكائهم في معاملاتهم. وهو يسرد لنا قصته مع المشتري الآخر الذي قلل من احترامه، وحاول أن يستفزه وبطريقة ذكية خرج من الأمر وهو يقول هاته بتلك مستحضرا المثل المضروب. "واحدة بواحدة"، يقول مولود فرعون:

"الزبون: إن قمحك ليس جيدا.

ثم أخذ قبضة منه وشرع في سحق حبوبها بين أصابعه الواحدة تلوى الأخرى جاعلا منها مسحوقا بعدما كانت قمحا صلبا .

رد عليه صاحب القمح قائلا:

إن السوق واسع ويمكنك أن تختار منه ما تشاء.

أعلم، أخذ منك مكيالين.

أنا أبيع وأنت تشتري.

وعندما قبض الدوارة مقابل القمح الذي اشتراه الرجل، أعادها إليه وأبقى منها قطعة واحدة ثم قال له:

¹ - المدونة ، ص107.

² - المدونة ، ص108.

³ - المدونة ، ص108.

أفضل العملة الورقية عنها، لأن نقودك مزيفة، خذ انظر إليها، قبض القطعة بين أصابعه وكورها حتى صارت كالحبة ورماها على وجهه.

ادفع لي دون مناقشة، أريد عملة ورقية .

قبض البائع الأوراق، وضع الآخر الدورو ومعه كبريائه "1.

- **العجائز:** هن اللواتي يحملن الحطب، يصف العجوز بملابسها وشكلها الخارجي وجسمها وما حولها، "إن تلك العجوز التي تلتقون بها مرتدية جبة دون أكمام وفوطة باهتة الألوان من شدة الغسيل هي صورة الشقاء، يداها في شكل زاويتين، واهنة العظام، وتاركة أديمها يتهدب، وتنفذ كل قواها في شد الحبل على ظهرها، قد تفلق كليتها من ثقل الحمل. وقد تضم شفيتها ليصبحا أخذودا يضاف إلى الأخاديد العمودية في الوجه الشاحب من ثقل السنين"2. وهذه المهمة ليست موكلة لصغار السن لأسباب منها، بعد المسافة التي يستجلب منها الحطب، وخطر أن تتولى ذلك امرأة شابة هذا، يعكس لنا مدى الفقر الذي يعيشه المجتمع القبائلي والمعاناة التي يعانيتها ساكنه من أجل طهي طعامهم ودفنهم، للنساء حمل الحطب وجلب الماء، وللرجال تقطيعه وإعداده فالمهمة متقاسمة ولا يشكل ذلك سطوة أو ثقل على المرأة مما يوحي بأنها عادات وأعراف وتقاليد قديمة يعيشونها دون استياء، ينقل لنا الكاتب المشهد للناظر فيقول، "وبحضور الزوج الذي يقطع الأغصان بحسب مقاس معين، ويربط الحمل ربطا محكما، ثم يصعد للقرية كالبطل، فاسه على كتفه، بينما زوجته أمامه أو ورائه منحنية الظهر تحت وطأة الحمل الثقيل"، ثم يستدرك الكلام منبها، "مهلا، لا يجب التسرع في رؤية هذا على صورة السيد الذي ينهك عبده تعباً، ليس في هذا أي خبث وكل ما هنالك إن الرجل قد قضى ساعتين في قطع الأغصان والمرأة عليها حملها المسالة بسيطة الأعمال مقسمة بالتراضي"3.

1- المدونة ، ص78،77.

2- المدونة ، ص100.

3- المدونة ، ص100،99.

يقول زйма. " إن الحياة الاجتماعية تدخل في تعالق مع الأدب من خلال المظهر اللغوي أولا
1"

ج- أبعاد الحرف والمهن الاجتماعية :

من الأبعاد الاجتماعية المادية في الرواية الحرف والمهن في القرى القبائلية، ولقد تناول مولود فرعون جانبا مهما من ذلك، فمنها ما هو مختص بالرجال ومنها ما هو مختص بالنساء.

ج-01- حرف مختصة بالرجال: فمن الحرف الممتحنة ببلاد القبائل ومقتصرة على الرجال، على حسب صاحب الرواية منها:

- **التطبيب والتداوي:** وهي متمثلة فيما يستعمله ابن الشريف، من عقاقير وتمائم ليداوي الناس وهي تعكس لنا سداجة الناس وبساطة تفكيرهم وسيطرة الجهل عليهم، وتغلب العادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات يقول مولود فرعون، "ثم قرر وأخرج عدته استمع أعتقد بأننا قد لمسنا الحمى، كان جدي يكتب لمضادات حمى المستنقعات، وذلك ما فعله والدي أيضا و سأحاول أنا بدوري"².

- **التعليم:** هو في القرى القبائلية ليس مختصا فقط بأبناء القرية، فهناك معلمون أجنب فرنسيون وهذا بدوره يعكس لنا أن القرى القبائلية تعرضت للاستعمار الفرنسي، "إن معلم القرية سواء كان من أصول أهلية أو أوروبية، وسواء كان من الجهة أو غريب عنها، فهو موجود بالفعل، وليس شخصية افتراضية"³.

- **الفلاحة:** من المهن التي أشار إليها مهنة الفلاحة والتي هي من أعمدة العيش في بلاد القبائل فالمخازن لا تمتلئ إلا بما تجود الحقول به من الغلة، "يكون الخريف مرادفا للدرس والحصاد وتجديد ملء مخازن الغلال"⁴. وهذا يوحي ببساطة العيش والكد والجد من أجل أن

¹ - عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الايديولوجية ال فضاء النص، عالم الكتب الحديث، اربد- الاردن، 2008، ص106.

² - المدونة، ص43،42.

³ - المدونة، ص133.

⁴ - المدونة، ص124.

يضمن الإنسان عيشا كريما وكأن الأرض تتكلم معه، "تقول له تعالى لتفعلني إن الوقت يمر. أسرع بالعربة. احرق وازرع . وازرع واحرق"¹.

- التجارة: من المهن أيضا المختصة بالرجال التجارة فمعظم الناس يبيعون ويشترون يستغلون وجود السوق الذي يتجهون إليه جميعا، "كل سكان القرى إما أن يصعدوا للسوق أو ينزلون إليه"²، وفي طريقهم إليه تتقاطع حركتهم، فهو محل اجتماعهم وكسبهم لبعضهم البعض، هذا يبيع اللحم والآخر القمح.... الخ .

ليس لجميع الناس محلات يبيعون فيها كأصحاب الدكاكين فإنهم يبيعون في محلاتهم ولهم طرقهم في جلب الزبائن، "أما أصحاب الدكاكين فيبقون داخل محلاتهم أبوابهم مفتوحة على الطريق يستقبلونك بابتسامة ويرسلون لك بتحية من بعيد"³. والتجارة وسيلة أيضا لتعارف الناس واستزادهم من بعضهم، وهذه المهنة تحتاج إلى شيء من الحنكة والدربة والدراية وحسن التصرف، واللطف في المعاملة. وقد تصل إلى التباري بين الباعة والمشتريين، لذلك فهي مهنة تختص بالرجال، "إن السوق للرجال وليس للنساء يجب أن يكون المرء مقداما . يجب مجابهة الأفراد وجها لوجه"⁴.

ج-02- حرف مختصة بالنساء: من المهن التي تختص بها النساء في بلاد القبائل.

- الاحتطاب: وتعني حمل الحطب للمنزل، وهذا ما يعكس ما للمرأة من دور في القرى القبائلية وأنه لا يستغنى عن خدماتها الجليلة ومعونتها للرجل، وأنها تتحمل معه أعباء الحياة، "جميع من في القرية يشغله مشكل الحطب لكن العجائز هن اللواتي يتكفلن به"⁵، الملاحظ من خلال الكلام السابق أن النساء اللواتي يحملن الحطب هم العجائز هذا يدل على حظوة كبار السن في دورهن في المجتمع القبائلي، وليس كمجتمعات المدن التي ترمي بكبار السن في دور العجزة.

¹ - المدونة ، ص124.

² - المدونة ، ص75.

³ - المدونة ، ص84.

⁴ - المدونة ، ص88.

⁵ - المدونة ، ص98.

- **الرعي:** من المهن المختصة بالنساء الصغيرات في السن، وهو أنسب لبنيتها الجسدية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المجتمع القبائلي يراعي قدرات الأفراد، ويتقاسم هموم العيش بين أفراد مجتمعه، وتشارك جميع طبقات المجتمع في العمل من ضمان العيش. وقد يشارك في هذه المهنة في بعض الأحيان الأطفال أيام العطل.

- **جلب الماء:** من المهن المختصة بالنساء . جلب الماء . والماء عنصر الحياة، لا تستقيم إلا به، والرجال لا يمكنهم أن يتجهوا نحو المنبع لخصوصية الأمر. فهذه قاعدة متعارف عليها، "أن الرجال لا يتوجهون إلى الينابيع . هذا ما حكمت به القاعدة. قاعدة عرفية متواضع عليها تنقل من جيل إلى آخر"¹. يعكس لنا هذا أيضا جانب الحياء والعفاف والحشمة، وأثر الدين الإسلامي وما يحمله من أخلاق رفيعة يتمتع بها المجتمع القبائلي، كما يعكس لنا تفاعل الإنسان مع الطبيعة، والعالم من حوله، وتلاحمه مع عناصره بعفوية وتلقائية، يقول عبد الوهاب شعلان، "ثمة ما يشبه الوحدة الكلية في العالم البدائي. حيث يمارس الإنسان عملا يدويا، وعقليا، وفنيا في الوقت نفسه، وهو إذ يجهد نفسه لتحصيل قوته، وتأمين مسكنه، يقدم رؤيته للعالم، وموقفه من الوجود عبر أشكال فنية مختلفة، في صورة متلاحمة لا تناقض بين عناصرها، تم أن الحرية التي تكاد تكون مطلقة، وغياب أشكال الاستغلال الطبقي، والسياسي، جعل الإنسان البدائي أكثر عفوية وتلقائية، وجعل من فنونه البسيطة صوت الجماعة الكبرى، وتعبيرا صادقا عن روحها العميقة"².

¹ - المدونة ، ص114.

² - عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الايديولوجيا إلى فضاء النص، عالم الكتب الحديث، اربد - الأردن ، 2008 ، ص11.

المبحث الثاني: الأبعاد الاجتماعية اللامادية :

01- تعريف اللامادية : غير مادي: بلا جسد أو جسم أو شكل أو مادة . من يقول بأنه لا يوجد إلا المادة ، صاحب النظرة المادية للأمور فيلسوف مادي¹.

- اللامادية: مذهب من ينكر وجود المادة ويقصر الوجود على الأذهان (ثقافة اللامادية- اللامادية الروحية)².

- اللامادية: هي مذهب وضعه بروكلي لإطلاقه على مذهبه الفلسفي من جهة ما هو مذهب مثالي ينكر وجود المادة . ويثبت وجود الأفكار . قال لا وجود إلا للأفكار، أما المادة فإنه لا وجود لها إلا من جهة ما هي مدركة لنا. فالوجود عنده هو الإدراك وإن لم يكن الشيء مدركا لم يكن موجودا. و إذا كانت أذهاننا تنطوي على معان متعلقة بالعالم المادي فمرد ذلك إلى أن إرادة الله هي التي تخلق هذه المعاني في نفوسنا.³

وقد تأتي الكلمة مضافة لكلمات أخرى فنقول التراث غير المادي، ويعرف كذلك بالتراث التقليدي أو الحي وهو التراث غير الملموس، ولا يقتصر على التقاليد الموروثة عن الماضي فقط بل يشمل أيضا الممارسات الريفية الحضارية المعاصرة التي تشترك فيها جماعات ثقافية متنوعة⁴.

- التراث الثقافي غير المادي أو التراث الثقافي اللامادي: هو الممارسات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات ومصنوعات وقطع وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانا الأفراد ، جزء من تراثهم الثقافي وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبذعه الجماعات والمجموعات من جديد في صورة مستمرة، بما يتفق مع

¹ - احمد مختار عمر ، بمساعدة فريق عمل،معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، مج3، عالم الكتب،2008،ص2078.

² - المرجع نفسه،ص2078.

³ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت -لبنان،1982،ص268،267.

⁴ - عبد الكريم خبزوي ، مجلة عصور ، العدد 34.35، افريل. جوان 2017، ص12.

بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور بمسؤوليتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي، والقدرة الإبداعية البشرية¹.

انطلاقاً من هذه التعاريف يمكننا أن نحدد مفهوم لامادية بأنها تلك الأشياء غير المحسوسة والملموسة والتي نستشفها من خلال الوقوف على الإشارات والإيماءات لها.

02- الأبعاد اللامادية : تحتوي على أفكار أو قيم ومواقف، يمكن اعتبار المعرفة والمعتقدات والقواعد التي تشكل المجتمع وسلوك شعوبه أبعاداً لامادية، فكل مجتمع له نظام معتقد خاص يجد بأنه يؤمن بالله والملائكة والسماء والجحيم والعديد من الأساطير حيث يتم تمريرها من جيل إلى جيل؛ تساهم هذه الأخيرة على جمع الناس في مجتمع، وهذه الأنظمة اللامادية إنما تنشأ عن المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة، الدين، السلطة، التعليم، وما إلى ذلك .

وتتداخل اللامادية مع المادية كون الأشياء المادية في نفسها لها قيم رمزية تحول بها إلى غير المادية مثال ذلك المهر الذي يقدمه الرجل للمرأة مادي ولكنه يعبر عن المحبة والرعاية بين الزوجين والقوامة من الرجل على المرأة وهكذا.

تصور لنا رواية يوميات القبائل واقعا اجتماعيا في الخمسينيات في القرى القبائلية في الجزائر. متمثلة في ظاهرة الاغتراب إلى فرنسا والتفاوت الاجتماعي متمثلا في المؤسسات تتصارع فيما بينها مخلفة أثارا على المجتمع.

أ- ظاهرة الاغتراب:

ما أكثر الروايات العربية التي تناولت ذلك الصراع القائم بين الشرق و الغرب وما أكثر الآراء التي تعددت حول تبادل الخبرات، وتلاقح الحضارات، وكان الطرح الروائي العربي أخاذاً، وضع في كثير من العنوانين الدواء على الدواء، كرواية الطيب الصالح (موسم الهجرة إلى الشمال). ولقد كان للجزائر النصيب الأوفر في ذلك ولكن بالرواية المكتوبة بالفرنسية، فمثلا نجد مولود فرعون الذي نراه يعالج في رواية يوميات بلاد القبائل في أبعادها الاجتماعية اللامادية ظاهرة الاغتراب، فقد كان مغترباً ردها من الزمن، يعود بعد الهنيهة والأخرى إلى قريته من بلاد

¹ - المادة 2، نص اتفاقية حماية لتراث الثقافي غير المادي _ الموقع الرسمي لمنظمة اليونسكو ، 29 أكتوبر 2015 على موقع واي باك ميشن .

أوروبا، وتحديدًا من فرنسا ليزور قريته وقد لمست يد الحضارة شكلا ومضمونا، يقول، "تعلم قريتي بأني تغربت كثيرا، وعشت بعيدا عنها أكثر، غير أنها تكون قد ألفت إياي لها في كل دورة وتعودت على رجوعي إليها في كل مرة"¹، وعلى الرغم من ما وجد في حضارة الغرب من أسباب العيش الجيد، وما تحويه قريته من أمور تجعله ازهد في العيش فيها، فإنه لا يزال متعلقا بها تعلقا شديدا، لما تحويه من أصالة وعراقة، وما يجده فيها من أشياء جميلة، لا يمكن أن ينساها، هي مطبوعة داخله، شأنه شأن كثير من شباب قريته الذين هم في ذهاب وإياب، مهاجرين باستمرار. تستقبلهم جميعا غير مكترثة بهم جميعا لكثرة اختلافهم عليها، "أنهم في النهاية يشاهدونها كما هي فالوقع، ويجدون فيها سحرا خاصا بها يسترجعون فيها انتماءهم إليها"².

وإن كان هو يرى أثر الحضارة عليها في كل مرة يؤوب إليها، وهي تتبدل وتتغير شيئا فشيئا، ويرى أنها تغزى كغيرها من المدن التي دخلت عليها أدوات التحضر، "لم يكن موجودا أثناء زيارتي في العام المنصرم وبجانبه معصرة زيت، ورحى يشبه ضجيج الطفطافة وحدثوني أيضا عن مخبزة بمعجنة ميكانيكية. غزت الآلة إذا وصرت تأخذين أبعادا جديدة"³، ومولود فرعون واحد من الذين انبهروا في الحضارة الغربية إلا أن انبهاره هذا لم يكن ليطمس عينيه على الحقيقة وعن حبه لقريته، وعن ما يفعله الاستعمار لأجل طمس الهوية، تقول كتنزة حاج إبراهيم: "وقد كانت السياسة التي تتبناها فرنسا اتجاه الجزائريين خلال سنوات حرب التحرير، سببا في حدوث صراع نفسي حاد أدى بالضرورة إلى تشكل الوعي الوطني عند الكاتب مولود فرعون وبذلك اكتشف بأنه لا يمكن أن يتخذ موقفا حياديا اتجاه قضية شعب ينتمي إليه، ووطن لا يمكن أن يجب سواه، يقول: "أدركت أن لي وطنا، وأني سأعتبر دائما أجنبيا في غيره من الأوطان"⁴، وفي الحديث عن الهوية أيضا يقول، "التين الطري والعنب نعرف كيف نأكلهما. حبا في كرومنا. ولو أدرك سكان المدن الذين يشترون ثمارنا بالكيلوغرام لغاروا منا. لكنهم لن يدركوا ذلك هذا أبدا. هناك أفراح لا تشتري وملذات ترتجى، وسعادة بسيطة هائلة يجب التمتع بها في خفاء. تلکم

¹ - المدونة، ص7.

² - المدونة، ص8.

³ - المدونة، ص12،13.

⁴ - كتنزة حاج إبراهيم، صورة السياسة الفرنسية في الجزائر من خلال الأعمال الأدبية، مجلة التعليمية، م ج خ، العدد 14، ماي 2018.

الأفراح والملذات والسعادة لا أحد غيرنا يعرفها. خاصة عندما نتوجه إلى الحقول صباحا لقطف حبات التين الندية"¹.

فمهما أخفى المهاجرون حبههم وتعلقهم بقريتهم فإنهم لن يستطيعوا ذلك، "هل هناك دليل أقوى من تعلقنا بك طول المدى وإيابنا العنيد إليك في كل مرة. تشكين في تشبثنا بك؟"² فما أن يحل العجز بالإنسان والقصور إلا واسترجع ذكرياته الماضية وحن إلى وطنه مهما كانت حاله وصفته، لتضمه تلك الأرض من جديد. "وغالبا ما يكون ذلك المكان حفرة مستطيلة نائية في نهاية الرحلة حيث تنتهي الطريق المبلطة، وحيث تكون يوما من الأيام نهايتنا جميعا. قبر صغير لا يختلف عن جميع القبور"³، يعكس لنا مولود فرعون من خلال هذه الكلمات مدى ارتباط أهل القبائل بأرضهم وأنهم مهما اغتربوا واندمجوا حتما سيعودون إلى أصلهم.

ب- التفاوت الاجتماعي :

يقف مولود فرعون في هذه الرواية على تلكم التراتبية الاجتماعية التي جعلت المجتمع القبائلي ينقسم إلى مؤسسات مختلفة .

ب-01- المؤسسة الرسمية:

-**ثاجماعت**: وقد أشار إليها في عنوانه الثاني من يومياته ثاجماعت، وهي سلطة تحت يد الرجال ولا مكان للنساء فيها، يجتمع فيها الرجال من أجل القضايا المهمة، والمعاملات والأحداث المستجدة، وهذا يدل على أن المجتمعات القبائلية من المجتمعات الرجالية التي تخضع لسلطة الرجل، يقول مشيرا إلى ذلك: "ثاجماعت مكان مخصص للرجال"⁴، قدّم مولود فرعون نموذجا حيا عن ثاجماعت في قريته، وقال عنها بأنها متميزة عن غيرها، وأشار إلى أنها تخضع في ذاتها إلى سلطة تتحكم فيها، وهما شخصيتان (لمين والربوي). فالأول لأهليته لهذا المكان. لأنه يحمل صفة القيادة عن جدارة، وأما الآخر فلمكانته المالية، وهنا يشير إلى عنصر التحكم والزعامة

¹ - المدونة ، ص130،129.

² - المدونة ، ص 14.

³ - المدونة ، ص15،14.

⁴ - المدونة ، ص17.

التي يستطيع الإنسان أن يكون بها مسيطرا في مجتمعه، ألا وهو جانب المال، يقول مولود فرعون، "وكانت ثاجماعت هي ساحة الشرف التي يؤثرها لمين والربوي، وهما الشخصيتان الجديرتان بالأهمية لدينا، وهما الاثنان من خروبنا تنازلنا طوعا للمين على تلك المكانة، كان رجلا كيسا ... وجديرا بكل تقدير فعلا... وأما الآخر فإننا نعلم ارتباك المستدينين منه عند رؤيته قادما"¹، فالمال أحد المؤثرات في المجتمع وأحد أسباب وجود الطبقة فيه، ومن مبادئ ماركس، "ليس الوعي من يحدد الحياة بل الحياة هي من يحدد الوعي"². والبنية الاقتصادية تتحكم بحركة المجتمع السياسية و الفكرية.

لفظة الربوي التي ذكرها ليست منطلقة من فراغ وإنما من رفضه القاطع لمثل هذه المعاملات في المجتمع، التي تفسد العلاقات الاجتماعية، وتسبب الخوف والخضوع والخنوع من أمثال هذه الشخصية التي تستغل الأمر من أجل تحقيق مآربها وأهدافها وهذا يوحي لنا بأن الكاتب متشبع بأخلاق دينه التي ترفض مثل هذه التصرفات، وتجرمها لما لها من انعكاسات ضارة على المجتمع. وذلك من أدواء الرأسمالية الذي أسقط كثيرا من المجتمعات في هوة الطبقة، فتتكسد الأموال عند أقلية تتحكم في مصائر الناس.

ولعل اللعبة التي أشار لها مولود فرعون في روايته بين الربوي ودائنيه، يريد من خلالها توضيح الحالة التي وصل إليها المجتمع من جراء انتشار مثل هذه المعاملات الرديئة، التي تصل بالأفراد إلى الانهزامية، "وعندما يلعب لعبة الدامة المحفورة على الصفائح مع دائنيه فإنه يتحتم عليهم أن يخسروا الشوط في كل مرة احتراما له، ينتصر عليهم قائلًا في نفسه نعم أفضل لكم أن تنهزموا أمامي"³، ولعل هذا من أسباب تغير الدور الحقيقي لثاجماعت وإنما أسست في حقيقتها في الوهلة الأولى لتجمع الناس وتنظر لأحوالهم، وتعلم الناشئة، يقول مولود فرعون على حالة ثاجماعت في السابق: "نأتي ثاجماعت لتتصرف تصرف الرجال، وتكلم كلام الرجال، وننظر

¹ - المدونة ، ص20.

² - روجيه غارودي، الماركسية، ترجمة مجد الأمين بحري، دار الحكمة الجزائر، 2009، ص123.

³ - المدونة ، ص21.

للآخرين نظرة الرجال، وننظر للأخ، وللصديق، وللعُدو. نأتي لنستمع إلى الشيوخ، ونعلم الشباب... تلك هي تجمعات التي كانت في السابق"¹.

-**الأحزاب السياسية:** ومن بين المؤسسات الرسمية في بلاد القبائل الأحزاب السياسية. المتمثلة في الحزب الفاشستي والحزب الشيوعي فالفاشستي نسبة للفاشية الإيطالية والشيوعي نسبة للاشتراكية، ووجود هذه الأحزاب يدل على التغير الذي طرأ على المجتمع القبائلي وبروز الحركة السياسية وتأثره بما يدور في العالم من الأحداث وعلى تطور الفكر في بلاد القبائل.

ويشير إلى تاريخ ظهور هذه المصطلحات ليرز لنا أنها جديدة ودخيلة على القرى القبائلية، وهو مما أفرزته حركة الاغتراب إلى الدول الغربية، ونقل تلك التوجهات والأفكار عبر المهاجرين الذين يسافرون ذهابا وإيابا ما بين البلدين، وهذا نوع من السلطة الجديد الذي أدى إلى تغير المبادئ التي تأصلت عليها تجمعات، واضمحلال دورها السلطوي في المنطقة، "إن هذه المفردات الجديدة تعود لسنة 1945"² وهذا التاريخ هو نهاية الحرب العالمية الثانية، وهو التاريخ الذي بعده انتشر الفكر التحرري والتغير الاقتصادي والسياسي، جعل الناس يعيشون حلم حلول لمشاكلهم، وأن يسود الاستقرار في العالم يقول عبد الله العذامي، "مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ومرحلة ما بعد الاستعمار هي الحقبة الثقافية الكلية التي عمت البشرية ولامست أحلام الناس في التحرر والتعلم والوعود الاقتصادية والسياسية"³.

-**الحاكم:** من المؤسسات الرسمية، والمقصود به هنا الذي يتولى السلطة على المنطقة من طرف الاحتلال الفرنسي، فهم الذين يتولون تعيينه، وقد أشار إليه مولود فرعون عند حديثه عن الصراع بين الأحزاب السياسية الفاشستيون والشيوعيون، "إن الفاشستي يحتل المكان الأحسن فهو على رأس القرية. يعرف الحاكم ويطلع على الشيوعيين"⁴، وهذا ما يعكس لنا أن القرى القبائلية تعاني تحت وطأة المستعمر، وينقل لنا بعد ذلك الكاتب رضوخ الأحزاب تحت أمره

¹ - المدونة ، ص24.

² - المدونة ، ص 65.

³ - عبد الله العذامي ، القبيلة والقبائلية أو هويات أبعاد الحداثة ، ط2 ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء - المغرب ،

2009 ، ص9.

⁴ - المدونة ، ص66.

فهم يتوددون إليه ويتقربون منه من أجل تحقيق مآربهم وأهدافهم، "نراهم يوم السوق الأسبوعي ينتظرون أمام باب الحاكم. غير أن الحاكم لا تبدو عليه العجلة للاستعانة بهم".¹

ب-02- المؤسسة الدينية :

وتتمثل في ابن الشريف أو ما يطلق عليه القبائليون المرابطون وهم الأشراف الذين ينتهي نسبهم لرسول الله ﷺ، فهم معززون ومحترمون من طرف الشعب القبائلي، ويعدون فيهم من الطبوهات التي لا تقترب، يلتمسون منهم البركة وينادونهم بسيدي احتراماً لنسب العائلة وتقديساً لجناب النبي ﷺ يقول مولود فرعون مشيراً إلى ذلك، "يستحسن الحصول على تلك البركة كانت ما كانت ... ننادي المرابط بسيدي احتراماً لأسلافه"²، والرجل فيهم كالمراة، يجلوها ويحترمونها ويقبلون رؤوسهم وأيديهم، و ينادون المراة ب لالة، والتي يجيطونها بكثير من التقدير بحيث أنها لا تخرج من منزلها إلا في النهايات من عمرها. مما يعكس لنا حالة المراة في هذه العائلة من القرى القبائلية و تحكم الرجل فيها لدرجة منعها من الخروج إطلاقاً. يقول مولود فرعون مشيراً إلى ذلك، "ونقبل رأسه ويدها على الأقل ، ونتحلل بذلك منه. وهو لا يطلب أكثر من هذا. ويجب أن ننادي زوجته ب لالة التي لا تخرج من منزلها إلا عندما تصير عجوزاً. والمؤكد لنا أننا لا نقبل رأسها ولا نقبلها"³.

تنتقل السلطة عند المرابطين بأن يخلف الشيخ ابنه من خلفه على الزعامة ، ليبيعه المريدون وقد لا يكون حتى مؤهلاً لتلك المكانة في بداية الأمر. وهذا من التراكمات التي تخلفها الأجيال. تماماً كعرش الملوك، "لقد جاءكم الحكم بعد ذلك عندما توفي والده وترك خطاباً مكتوباً بخط يده قرئ على الجميع في المقبرة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إن شيخكم الذي ترككم لمملكة الله المقدسة هزيلاً مماتاً أمام قضاء الله. أسلم عليكم واطلب من الله أن يغفر لكم ويشملكم برحمته... وانتهى الخطاب بأدعية ومواعظ للإخوان والمريدون الذين بايعوا من خلفه المتمثلة في ولده، ولد لا تجربة لديه ولكن الله باركه"⁴، يتولى ابن الشريف في المجتمع مهاماً كثيرة

¹ - المدونة ، ص 69.

² - المدونة ، ص 34.

³ - المدونة ، ص 34.35.

⁴ - المدونة ، ص 38.

منها ما يختص بالدين ومنها ما يختص بالعادات والتقاليد والأعراف، مقدم في الجنائز والأعراس ويسأل به الشفاء عند المرض بالعقاقير والتمايم والدعاء، يقول مولود فرعون مشيراً إلى ذلك، "وكان وجوده في مقدمة الجنازة أو في موكب الدفن بلباسه الأبيض المؤلف يخفف وطأة حزن أهل المتوفى كثيراً وهو يتلوا آيات قرآنية ومن وراء المرابطون الأجانب"¹، "إنه عالم أمام العجائز اللواتي يأتين لزيارته يستجدين وصفة، أو تركيبة طبية، أو تيممة"² وهو يستغل سداجة الناس، ويعلم بالتجربة والخبرة وقت احتياجهم وتصديقهم، "يعلم شيخنا أن هناك أوقاتا يحتاج فيها للتصديق، ونصبح ساذجين كالأطفال الصغار"³ ويصور لنا الكاتب أثره على المجتمع فيقول، "... أولاده مبرقشون بالتمايم، بقرته تحمل تيممة على جبهتها، وكيسا صغيرا في رقبتها."⁴ ويصور لنا أيضا مشهدا آخر وهو همس الشيخ بالقرآن والابتهاالات ويقول إنها ليست مفهومة عندهم إذ أنها باللغة العربية، "لأن شيخنا يهتمهم بالقرآن. والقرآن ليس مفهوما لدينا. الرقية والابتهاالات والصلوات والايغازات كل هذه الأمور تتم باللغة العربية"⁵، وهذا ما يعكس لنا كون الكاتب كان يكتب باللغة الفرنسية ولم يكن يكتب باللغة العربية لنقصها في القرى القبائلية، وذلك لأنهم يتكلمون باللغة الأمازيغية، ويعكس لنا أيضا أن عائلة المرابطين هي الوحيدة التي كانت تهتم بشأن العربية، حيث أن ابن الشريف الذي كان بدوره يتعلم في المدرسة كغيره من أبناء القرية يتعلم اللغة العربية في الصباح والمساء ولا يعلم بذلك أصحابه إلا معلمه. "لا يمكننا أن نطارد أرنيين في آن واحد عليك أن تختار إما اللغة الفرنسية أو اللغة العربية"⁶. كل هذا يدل على تمكن الخرافة والمعتقدات الفاسدة في هذه المنطقة، وسيطرتها على عقول الناس، واستسلامهم لها لدرجة التصديق المطلق، ودون الريب أو المناقشة على وجود كثير من المتعلمين الذين يرفضون ذلك دون أن يظهروا الأمر علانية.

¹ - المدونة ، ص 39.

² - المدونة ، ص 40.

³ - المدونة ، ص 44.

⁴ - المدونة ، ص 44.

⁵ - المدونة ، ص 44.

⁶ - المدونة ، ص 37.

ب-03- المؤسسة الشعبية:

-المدرسة: تضم المعلم وتلاميذه، وهم فئة اجتماعية تسعى لتنوير الناس، وإخراجهم من ظلمات الجهل، وتحرير الناس ممن يستغفلونهم ويستغلونهم، والعمل على الرقي بالإنسان ليكون فعالاً في مجتمعه، لأن المعلم يدرك ما للعلم من قيمة، وقد عاد واحتك بكثير من الناس وخالط أجناساً ورأى بأم عينه فضيلة العلم وعيش الإنسان المتحضر الذي رقاہ العلم إلى درجة الكمال، يقول مولود فرعون مشيراً إلى ذلك، "يعود المعلم في حالتنا هذه ليقوم في دواره الأصلي، وأحياناً في قرينته نفسها بعد أن يكون قد درس، واحتك بأوساط شديدة الاختلاف عن ذويه، وحصل على شهادات، وتمكن من المعارف"¹ وفي هذا يوضح عظيم مسؤولية المعلم وما يتحمله من أجل أهدافه ويحكي لنا أيضاً معاناته هو وتلاميذه من ظروف صعبة، نظراً للإمكانيات الضعيفة والمحدودة ووعورة المنطقة، "وكانت حياة القرى آنذاك في غاية الصعوبة. كان يجب التغلب على عداء الأفراد، والتغلب على كثير من الصعوبات المادية التي بدأنا اليوم في نسيان ذكرياتها"²

فالمعلم في حقيقة الأمر في بلاد القبائل لا تقتصر مهمته على التعليم، بل يقوم بعدة وظائف مختلفة، "كان يجب معالجة المرضى. وكتابة الرسائل وقراءتها، وتحرير العقود، وإبداء النصائح، والحكم في الصراعات، كما كان يجب التدخل، والمساعدة، والنجدة"³، وهذا ما جعلهم يستأثرون بألقاب الشرف، "الشيخ" والدعاء بالخير "ليجعل الله مكانك في الجنة"⁴.

على أن المعلم الأول لم يغييه التعليم على أن يقوم بوظيفته التي نشأ عليها، كفلاحة البستان وقطف التين وغيرها، وهو ما يعكس لنا ما لدور هذه المؤسسة في المحافظة على الأصالة، دون إهمال مواكبة العصر وتدايعياته، ومحاولة مساندة ركب الحضارة، بغية القضاء على الجهل وما خلفه الاستعمار من دمار في العقول وطمس للهوية. والكاتب إذ يعرج على المعلم ودوره في المجتمع إنما يعلم بأنه السلاح الحقيقي الذي يواجه به الإنسان الأزمات ويصلح به ما فسد

¹ - المدونة، ص132.

² - المدونة، ص134.

³ - المدونة ص135، 134.

⁴ - المدونة، ص136.

ويدحض به عدوه، وخاصة وهو في حقبة الاستعمار الفرنسي الذي خلف ما خلف من آثار سيئة على المجتمع.

- **سكان القرى:** من المؤسسات الشعبية، سكان القرى وقرارتهم في بعض المواسم، نجد اجتماع وجهاء القرى القبائلية ليقرروا في موسم نضج التين أن لا يقطف مدة من الزمن لينضج في أمن سلام، بسبب القطف العشوائي للأطفال والناس، يصور الكاتب هذا المشهد. "اجتمع الوجهاء وعلى رأسهم المرابط وقرروا وضع حد نهائي لهذه الحالة. حضر جميع من في القرية لذلك الاجتماع. حدد الوجهاء الغرامة لا يحق لأحد أن يلمس التين خلال خمسة عشر يوما"¹.

من مقررات هذه المؤسسة التي تعمل دائما لصالح المجتمع، تخصيصها لحقول يكون الملك فيها مشاعا للجميع، خاصة الفقراء الذين يمكنهم أن يأخذوا منها ما يشاؤون فهي متنفس لهم، ولمن لا يملك حقول التين، ويوافق هذه المقررات بداية الخريف ليكون أوله يوما سعيدا على الجميع يقول صاحب المدونة، "هناك مكان قريب من القرية ملك للجميع حيث أشجار التين والصبار في متناول الجميع يعتني به كل أفراد القرية ويتجنبه الرعاة، إنه للفقراء... لا يعتوره سوى المعوزين"² وهذا ما يدل على أن أفراد القرية ككل يشاركون في ضبط الأمور لتسير على نصابها وإلا وقع خلل كبير خاصة فيما يتعلق بأرزاق الناس وعيشهم. ويعكس لنا أيضا ما يمتاز به المجتمع القبائلي من التكافل والتضامن الاجتماعي الذي ورثوه عن أجدادهم.

ج- الصراعات:

من الأبعاد الاجتماعية اللامادية تلكم الصراعات التي تمخضت عن تنوع المجتمع القبائلي من حيث مؤسساته وطبقاته، فهناك صراع محتدم متولد من خلال التفاعل بين طبقات المجتمع فنجد:

ج-01- **الصراع بين الشيوخ والشباب:** ذالكم أن الشيوخ يحاولون أن يبقوا الأمور على ما كانت عليه في السابق، رافضين التغيير لأنهم يزعمون أن التغيير سيؤدي إلى اضمحلال تلك

¹- المدونة، ص 126، 127.

²- المدونة، ص 129.

الأمر التي كانت تقوم بها تلك المعالم التي أقامها الأجداد وتوارثوها كابرا عن كابر، ينقل لنا الكاتب هذا المشهد ويبين لنا كيف يتأسف الشيوخ على مثل هذا المنحى الجديد من الشباب. "يمكن في الواقع لبابا أحمد أن يأسف على تجمعت الغابرة وأنا معه. لقد غير الشباب رأيهم فيها لقد قرروا غزو كل تجمعت القرية وبغزورهم لها فقد انقصوا من قيمتها، واستخفوا بها، وسخروا بمبادئها."¹

أما الشباب خاصة منهم الذين اغتربوا، ورأوا زخم الحياة، وما تعج به من تداعيات جديدة، وما يملكونه من قدرة مالية، يمكنهم من خلالها تغيير الأوضاع دون المساس بالأصول والقيم، فيرون أنه يجب التغيير ومواكبة العصر، وأن نجدد ونزيد الفعالية. ينقل لنا الكاتب هذا الصراع في الحوار الذي دار بين الشيوخ والشباب:

"حبذا كل ذلك أتمسك بذكرياتي، غير أن الشباب يتمسكون بأرائهم والشباب هم من يغير العالم.

استقبلت في الأسبوع المنصرم وفدا من شباب بني عمومي قدموا من أجل استشارتي.
ها نحن لقد قررنا عصنة تجماعتنا
مجددا !

مجددا، بطبيعة الحال. نعول عليك وعلى جميع إخواننا الكبار.
آه ! والشيوخ حينئذ؟

الشيوخ؟ تصور بأنهم ليسوا فرحين. إنهم يريدون تجديد المسجد. مسجد القرية كلها.
لعلمهم على صواب. القرية كلها!

بالضبط ! ليس القرية ولكن الخروبة هي التي تهمنا نحن الشباب"²

ج-02- صراع التقدميون مع أهل القرية: على بعض العادات والتقاليد في القرية منها ما يحدث في تيمشترات من يجمع الصدقات وذبح الثيران، وتناول الطعام.
"وعندما مر الاحتفال قال التقدميون: صراحة أن هذه عين الحماقة، وافقنا على رأيهم مبتسمين، وقلنا لهم أن عليكم أن تنتقدوا هذا قبل وقوعه.

¹ - المدونة، ص29.

² - المدونة، ص30.

قال التقدميون: أليس هذا محزنا تبدد ثلاثمائة ألف فرنك في ليلة. هذا لو عرفتم كيف تأكلون ذلك اللحم! باف! الكل في قدر واحد. تستهلكونه في ليلة واحدة، وفي يوم الغد لاشيء لديكم لاحظوا أنهم تصرفوا مثلنا تماما"¹.

إنهم يستشرفون المستقبل ويرون بأن من الأمور الأولى لو غيرنا بهذه المبالغ واجهة الأزقة، وأصلحنا المنبع وثاجماعت وغيرها ويشيرون عليهم بأنكم ستظلون على حالكم ما لم تنتبهوا لمثل هذه الأمور يقول التقدميون. " في رأينا؟ المسألة بسيطة، ثلاثمائة ألف فرنك أي ما يكفي لتبليط أزقتكم الموحلة و المتسخة (شوارعكم!)، وما يصلح منبع ثاجماعت، وصيانة المدرسة، ومجري المياه وغيرها. ...ستبقون دائما في نفس الحال. لا نستطيع أن نعلمكم أي شيء."².
ولو نظر التقدميون إلى هذه العادة من الناحية المعنوية وما تخلفه من أثر السعادة في نفوس الأرامل والفقراء الذين يتوقون بهذه العادات لكان لهم رأي آخر. وفي الحقيقة يجب أن يأخذ كل أمر نصابه من الاهتمام ليس على الأرملة والمسكين والفلاح الفقير أن يهتم بالتعمير بل هناك جهة أخرى هي التي تتكفل بهذه الأمور.

ج-03- صراع السياسي حول الإدارة بين الأحزاب الشيوعيون والفاشستيون:

وهذا الصراع بدوره يدل على مدى تأثير القرى القبائلية بما يدور في العالم والشيوعية مبنية على الاشتراكية والمادية الماركسية، والتي لا تؤمن إلا بالمادة والملكية الجماعية. والفاشستية ترجع إلى الفاشية الايطالية هي مذهب سياسي واقتصادي يقوم على الديكتاتورية والحزب الواحد وقمع المعارضة، ونظام قائم على استبداد السلطة بالحكم والتعصب القومي والتطرف العرقي. ونجد هذه الإشارة في المدونة لذلك. " إن الفاشستي يحتل المكان الأحسن، فهم على رأس القرية يعرف الحاكم ويطلع على الشيوعيين إنه إداري صديق القانون، جدي وثري."³ ولهذا يحتدم الصراع بينهما وكونهما يبغيان نفس الأمر وتحقيق نفس الهدف، وهما يرفضان أي متدخل آخر يقول مولود فرعون بأنه عرض عليهم مرشحا ذا كفاءة ولكنه محايد لا شيوعي ولا فاشستي، فرفضوا الأمر بتاتا، وهذا مما يدل لنا على أن السلطة أصبحت حكرا عليهم. " ذات يوم قدمت للمنتخبين سيذا من النوع المحايد ذهل الرجال لكن في الأخير ما جاء به هنا؟ إذا لم يكن شيوعيا ولا فاشستيا؟ شيء غريب وغير مفهوم تقول بأنه إنسان جيد وبعد كان عليه

¹ - المدونة، ص62.

² - المدونة ص62.63.

³ - المدونة، ص66.

أن يبقى في جهته جاء ليخلط الأوراق ويعكر مزاج المرشح الأول.¹ وينقل لنا أيضا صورة على صراعهم فهم يستخدمون أسلوب الإغراء بالوعود الزائفة والكاذبة لأفراد المجتمع ثم لا يحققون أدنى أمر منها. " أما النتيجة فإنها لا تهم كثيرا فالمنتخبون لا يتغيرون عندما يأتون بوعودهم في كل مرة فإننا على يقين من شيء واحد ، هو أنهم سيعودون يوما ما ليعيدون من جديد ".² وكأن مولود فرعون يعطينا درسا أن لا نثق في السياسيين أصحاب الإدارات كثيرا ، وأن أصحاب السلطة في أمثال هذا الفكر لا جدوى منهم وأنهم ليسوا من يصلحوا أحوال الناس أو ممن يحملون همومهم فليس لهم هم إلا مصالحهم ومصالح إدارتهم .

ج-04- صراع القيم :

لقد أدى هذا التنوع في المجتمع القبائلي إلى تغير في القيم وصراع فيما بينها فنجد :
- قيم أصيلة ثابتة : وهي قائمة على العدالة والأخلاق وتوزيع المهام والتعاون والتكاتف، نجدها عند المؤسسة الشعبية المتمثلة في شخصية لمين وبابا حمد والعجائز اللاتي يحملن الحطب، والراعيات والمعلم وتلاميذه .

- قيم زائفة او متغيرة : والتي تنبني على الانتهازية، واستغلال المناصب، واللعب بعقول الناس والأمانى والوعود الكاذبة. و استغلال الدين نجد ذلك في شخصية ابن الشريف و ما كان يستعمله من تائم والعقاقير. واستغلاله الدين من أجل السيطرة. ونجد المثقفين من المنتسبين للأحزاب السياسية الذين لا يهمهم سوى الاستحواذ على المقاعد، ودحر خصومهم، ولا يهمهم إلا مصالحهم الخاصة ويستعملون أنواع الأكاذيب بالوعود المغرية التي لا ينفذ منها شيء. ونجد أيضا في ذلك المهاجر الذي عاد وقد وخذته الحضارة وانبهر برونقها فجاء بأفكار جديدة يحاول من خلالها تغيير الواقع المزري. فنجده يتعدى بفكره على الثوابت ويتعدى على العادات والتقاليد ولا يخضع للأعراف ويخرق المبادئ.

من خلال هذا الصراع وما استجد من الأمور على المجتمع في القرى القبائلية نستطيع أن نلاحظ كيف بدأ يتحول المجتمع من مجتمع ريفي إلى مجتمع حضري شيئا فشيئا وبدأت تنقلب القيم فيه ويصيب بعض ثوابته الخلل من جهة ومن جهة أخرى بدأ يخرج عن غشاوة الجهل والخرافة .

¹ - المدونة ، ص65.

² - المدونة ، ص68.

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع و الوقوف على هذه المدونة و تحليلها من هذا الجانب توصلنا إلى النتائج التالية.

- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية والمكتوب بالعربية هو عبارة عن وجهين لعملة واحدة كليهما يجسد الوقائع المأسوية التي عاشتها الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر و ما يتطلع إليه من آمال.

- الأدباء الجزائريون الذين كتبوا بالفرنسية عن القضية الجزائرية ووقائعها والأدباء الفرنسيين بينهما بون شاسع بحيث أن لكل منهما نظرتة الخاصة و معاناته المتميزة و لكل واحد منهما طريقة طرحه للموضوع من حيث الشكل التعبيري والطريقة الفنية في معالجة المعاناة.

- الأدباء الجزائريون بالرغم من أنهم كتبوا بلغة غريبة عن قومهم بسبب الأوضاع السائدة آنذاك لكن ذلك لم يكن حاجزا بينهم وبين مجتمعهم بل نقلت هذه اللغة و فضحت الفرنسيين و همجيتهم باستعمال لسانهم مع محافظة الكتاب الجزائريين على شخصيتهم و أصالتهم وتقاليدهم التي كانت بادية من خلال أعمالهم الروائية.

- لقد قامت هذه الكتابات بزعزعت الكيان الفرنسي لأنها كشفت عن كل مؤامراته ووعوده الكاذبة

- هؤلاء الكتاب الذين كتبوا بالفرنسية لم يكن لهم خيار آخر فهم لم يدرسوا اللغة العربية بحكم الاستعمار الفرنسي ولم يتقنوها فلا نؤاخذهم على أمر لم يكن لهم يد فيه فخيارهم الوحيد هو محاربة الاستعمار الفرنسي والمبادئ الفرنسية فنجاح هذه الأعمال الروائية مرده إلى ما تحمله من مضامين معبرة عن الواقع الحي المعاش لا عن اللغة المكتوب بها .

- الرواية فن أدبي غايته الإصلاح وهذا ما لمسناه من خلال اليوميات و التي عاجلت أمراضا اجتماعية يعاني منها المجتمع القبائلي خاصة و المجتمعات الأخرى عامة. فمولود فرعون من دعاة الإصلاح لكن بطريقته الخاصة.

- اكتشاف طبيعة العلاقة المعقدة بين النصوص الأدبية و تبايناتها الاجتماعية، وكذا تكامل الأبعاد المادية واللامادية وتشابكها.

- مولود فرعون لم يكن يريد من خلال اليوميات سرد الوقائع و نقل الصور فحسب. بل كان يريد من خلالها الحديث عن الروحانيات و اللاماديات في المجتمع القبائلي، كيف و هو القائل لقد راودتني فكرة أنه بإمكانني ترجمة الروح القبائلية.
- من خلال الأدب يمكننا أن نكتشف هوية المجتمع وثوابته ومبادئه و اليوميات كانت مرآة عاكسة للهوية الدينية و الوطنية للقري القبائلية.
- اللغة مهما كانت فهي سبيل للتعبير عن الواقع و الإحساس و لا تشكل أي حاجز أمام الإنسان، ومولود فرعون كتب بالفرنسية و لكنه لم يخرج عن نطاق الأدب الجزائري..
- التركيز على الأماكن التي تتفاعل فيها الأحداث يضيفي على الرواية الحركية ، وتجعل القارئ يتعاش مع الوقائع ومولود فرعون في اليوميات ركز في طرحه على ذلك وأختار الأماكن بدقة .
- الشخصيات و اختيارها يلعب دورا مهما في الوصول إلى المرامي والأبعاد المرجوة من الرواية واليوميات استطاع من خلالها مولود فرعون أن يصل إلى مبتغاه من عرض الوقائع والأحداث المركزية والمهمة، والوصول إلى الأبعاد الاجتماعية المستهدفة.
- استطاع مولود فرعون باختياره للأماكن والشخصيات أن ينقل لنا صورا من الصراعات البارزة للمجتمع القبائلي والتي ساهمت في إبراز الأحداث و الوقائع و إثراء السرد.
- علاقة الأماكن بالشخصيات علاقة متشابكة ومترابطة. وبقدر ما ترتبط الأماكن بالشخصيات بقدر ما يكون السرد للأحداث والوقائع أشد ارتباطا وتكاملا و تناسقا. ومولود فرعون من خلال اليوميات جعل الأماكن والشخصيات في قالب واحد متناسق ومتربط مما عكس لنا الأبعاد المرجوة من الرواية خاصة الجانب الاجتماعي منها.
- وفي الأخير نقول بأن أدب مولود فرعون لا يزال يحتاج إلى الكثير من الدراسات و الوقوف على حيثيات الكتابة لديه، خاصة مع قلة الدراسات في هذا المجال. و في ذلك دعم للأدب الجزائري وتوثيق لمنتجاته.

الملخص بالعربية :

يتناول هذا البحث الموسوم بالأبعاد الاجتماعية في يوميات بلاد القبائل لمولود فرعون دراسة سوسيولوجية الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية واسهاماتها في التعبير عن الهوية الوطنية . وابرار العلاقة التي تربط الأعمال الأدبية بالنسق الاجتماعي وتحليلات أبعاده المادية واللامادية وبلاد القبائل كانت أوفر حظا بالكتاب الذين كتبوا في هذا النسق . فكان مولود فرعون ممن أثروا الأدب الجزائري بكتاباته ومن خلال رواية يوميات بلاد القبائل إستعرض لنا تلك العلاقة الوطيدة بين الأدب والمجتمع .

Sommaire: الملخص بالفرنسية

Cette recherche, taguée des dimensions sociales dans les journaux kabyles du pharaon nouveau-né, porte sur une étude sociologique du roman algérien écrit en langue française et de ses apports à l'expression de l'identité nationale. Et de mettre en évidence la relation qui relie les œuvres littéraires au système social et aux manifestations de ses dimensions matérielles et immatérielles, et les pays tribaux ont eu plus de chance que les écrivains qui ont écrit dans ce schéma. C'est Mouloud Pharaon, qui a enrichi la littérature algérienne de ses écrits, et à travers le roman "Journaux du pays de Kabylie", il nous a montré cette relation étroite entre .littérature et société

Summary: الملخص بالانجليزية

This research, tagged with the social dimensions in the Kabylia diaries of the newborn Pharaoh, deals with a sociological study of the Algerian novel written in the French language and its contributions to the expression of national identity. And to highlight the relationship that connects literary works to the social system and the manifestations of its material and immaterial dimensions, and the tribal countries were more fortunate than the writers who wrote in this pattern. It was Mouloud Pharaoh, who enriched Algerian literature with his writings, and through the novel "Diaries of the Country of Kabylia" he showed us that close .relationship between literature and society

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. إبراهيم السعافين، خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث: ط1، القاهرة مصر، 2010.
2. إبراهيم محمود خليل النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة إلى التفكيك)، دار السيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 2010.
3. إبراهيم مصطفى حامد عبد القادر، أحمد حسين الزيات، مُجَدَّ علي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، دت، د ط.
4. ابن رشد، تلخيص مابعد الطبيعة لأرسطوطاليس، تحقيق عثمان أمين، مصر القاهرة، 1958.
5. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط2، 2004.
6. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومُجَدَّ أحمد حسب الله، وهاشم مُجَدَّ الشاذلي.
7. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري.
8. ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث القاهرة، 2009.
9. أحمد ابو سعيد، فن القصة، منشورات دار الشروق الجديدة، ج1، 1959.
10. أحمد فراج: (الثقافة والعولمة/صراع الهويات والتحديات) الهيئة العامة لقصور الثقافة كتاب أبحاث المؤتمر الرابع لإقليم غرب وسط الدلتا، 2003.
11. أحمد مُجَدَّ عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4.
12. احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة عالم الكتب، ط1، 2008.
13. احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2007.

14. ارنست فيشر: ضرورة الفن، تر: أسعد حلیم، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر القاهرة، د.ط، 1947 القاهرة، نقلا عن مُجَّد علي البدوي: علم اجتماع الأدب، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2002.
15. أساس البلاغة، ابن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت، ط1، 1312-1992.
16. الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، مج ، دار الجبل بيروت، ط1، 1991، 1411.
17. الزاوي لمن، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية(بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالادولوجية .1830-1982)، مخطوط ماجستير دمشق.
18. الطاهر واينسية، اتجاهات الرواية العربية في بلدان المغرب العربي، 1985-1986.
19. العربي عبد الله، الايدولوجيا العربية المعاصرة، تر. مُجَّد عثمان، دار الحقيقة بيروت، 1970.
20. المادة 2، نص اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي _ الموقع الرسمي لمنظمة اليونيسكو، 29 أكتوبر 2015 على موقع واي باك ميشن .
21. أمين معلوف، الهويات القائلة، تر: نهلة بيضون، دار الفرابي للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 2004.
22. أنتوني وكارين بيردس، علم الاجتماع، تر. فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2005.
23. باختين ميخائيل: الملحمة والرواية، ترجمة وتقديم جمال شحيد: كتاب الفكر العربي، بيروت، ط3، 1982.
24. بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد، ط1، الوفاء الاسكندرية، 2006.
25. بوبكر بوسكين، حوار مع واسيني الأعرج، مجلة الموقف الأدبي.
26. ترجمة إلياس شاهين، مادية التاريخية، كيلله كوفالسون، المكتبة التقدمية.
27. تيري ايجلتن، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة سنة، 1991.
28. جابر عصفور، الرواية واللغة والهوية، جريدة الأهرام، ع47046، سبتمبر 2015.

29. جبور ام الخير الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.
30. جبور عبد النور المعجم الأدبي، دار العلم للملايس، ط1، 1979، ط2، 1984.
31. جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، المركز الوطني في الانترنتولوجيا الاجتماعية والثقافية، عاصمة الثقافة العربية وهران، الجزائر، 2007.
32. جميل صليبي، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان، 1982.
33. جورج لوكاتش، (الرواية) تر: مرزاق بقطاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
34. جورج لوكاش، نظرية الرواية وتطورها، ترجمة نزيه الشوقي، ط1، دمشق 1987.
35. حسين مروة، قضايا أدبية، القاهرة، دار الفكر، ط1، 1955.
36. حفناوي بعلي، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية.
37. حفناوي بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري، أفاق التجديد ومتاهات التجريد، دار العرب، سنة 2004.
38. رالف فاسولد، علم اللغة الاجتماعي، تر. إبراهيم بنصالح بن مُجَّد الفلاي، دار الملك سعود للنشر، السعودية: الرياض، 2000.
39. رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، اشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، بيروت المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2013.
40. روجيه غارودي، الماركسية، ترجمة مُجَّد الأمين بحري، دار الحكمة الجزائر، 2009.
41. زهرة ديك، هكذا تكلم ياسمينه خضرا، هكذا تكلم هكذا اكتب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013.
42. سمير سعيد حجازي، النقد العربي، ط1، 2015.
43. سيد بحراوي، المدخل الاجتماعي للأدب. القاهرة، دار الثقافة العربية سنة، 2001.
44. سيد حامد النساج، بانورما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط2.
45. شوقي ضيف، المدخل الاجتماعي للأدب، القاهرة، دار المعارف، ط8.

46. صالحه عباسي، سوسولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر، مذكرة ماجستير.
47. عامر مخلوف، الرواية والتحويلات في الجزائر، اتحاد الكتاب العرب، 2000.
48. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
49. عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1991.
50. عبد العظيم أنس، و محمود أمين، العالم. في الثقافة والأدب.
51. عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر.
52. عبد الكريم خبزاوي، مجلة عصور، العدد 34.35، أفريل. جوان 2017.
53. عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، تونس، 2009.
54. عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، م، وك، الجزائر، ط1، 1983
55. عبد الله العذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات أبعاد الحداثة، ط2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ، 2009.
56. عبد المالك مرتاض: في نظرية النقد(متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دارهومة، الجزائر، ط، 2010.
57. عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط1، 1971.
58. عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الايديولوجية إلى فضاء النص، عالم الكتب الحديث ، اريد-الأردن ، 2008.
59. عزيزة مردين القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1971.
60. علي أحمد باكثير، فن المسرحية من خلال تجارب الشخصية، مكتبة مصر، د.ط، ت.
61. عمر غيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردية، منشورات اتحاد تاب العرب، دمشق 2008.

62. فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر المتحددين، تونس 1982.
63. كنزة حاج إبراهيم، صورة السياسة الفرنسية في الجزائر من خلال الأعمال الأدبية ، مجلة التعليمية ، م ج خ ، العدد 14 ، ماي 2018.
64. مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، دار الحديث القاهرة تحقيق أنس مُجَّد الشامي، و زكرياء جابر أحمد، 2008، 1429.
65. محمد علي البدوي، علم اجتماع الأدب، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2002.
66. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر القاهرة، ط4، 2004.
67. مُجَّد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د.ط، 2006.
68. مُجَّد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة في التنوير الاسلامي، القاهرة دار النهضة مصر، دت، ع32.
69. محمد كمال غالب: الأدب والمجتمع، غير مبين دار النشر، دط، 1976.
70. مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية، د.ط، مجلة عالم الفكر، مج12، 22 سبتمبر 1998.
71. مرتاض عبد المالك: الرواية جنسا أدبيا، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بعد 1986.
72. مصطفى الجويني في الأدب العالمي، القصة، الرواية والقصة والسيرة، منشأة المعارف الاسكندرية، 2002.
73. مقدمة في المناهج النقدية في التحليل الأدبي، ترجمة وائل بركات غسان السيد، مطبعة زيد بن ثابت.
74. مولود فرعون، يوميات بلاد القبائل، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلاتتيقت، 2013.
75. نبيل صالح، المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 1439، 2018.

76. نوال بن صالح، استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون، مجلة المخبر عدد التاسع، 2013.
77. نور سلمان، "الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مجلة القسم العربي والنقد ومحددات الرأي الجزائري، العدد 26.
78. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر.
79. واسيني الاعرج، اتجاهات الرواية الجزائرية، بحث الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، 1986

الصفحة	العنوان
أ	مقدمة
12	مدخل
24	الفصل الأول: الرواية الجزائرية بغير لغة الأم
24	الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية المفهوم والنشأة
24	تعريف الرواية
27	نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
36	الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وسؤال الهوية
37	تعريف الهوية
39	خصائص الهوية
41	هوية الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
47	الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية في يوميات بلاد القبائل
49	تقديم الرواية
50	مفهوم الأبعاد الاجتماعية المادية
53	أنواع الأبعاد الاجتماعية المادية
53	البعد المكاني
58	الأبعاد في الشخصيات
63	أبعاد الحرف والمهن الاجتماعية
66	الأبعاد الاجتماعية اللامادية
66	مفهوم اللامادية
66	الأبعاد اللامادية
67	ظاهرة الاغتراب
69	التفاوت الاجتماعي
75	الصراعات

80	خاتمة
82	ملخص
83	قائمة المصادر والمراجع
89	فهرس الموضوعات